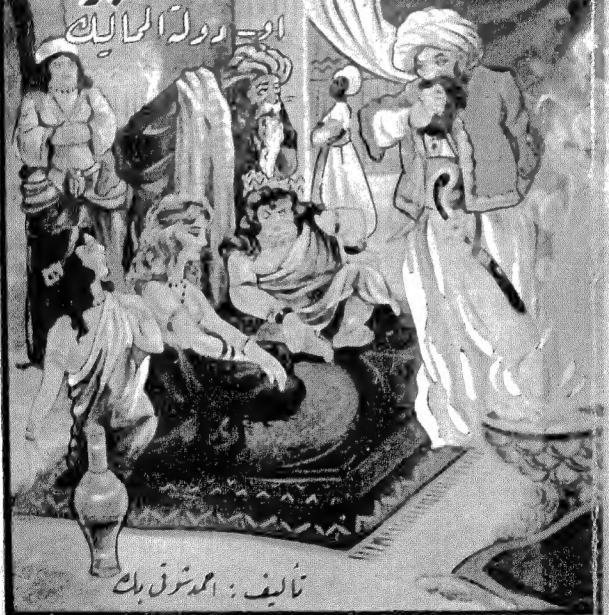


رواية على بك
الكبير
أول دولة المماليك



تأليف : أحمد شوقي بك

إهداء 2005

أ.د. / محمد عثمان نجاتي

القاهرة

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

١٠٠٠٠/٣٢/١٦٠٣٠

رواية
على بك الكبير
أو

دولة المماليك

تأليف

أحمد سوفي بك

تمثلها لأول مرة فرقة السيدة فاطمة رشدي على مسرح الكورسال في مارس ١٩٣٢

لمناسبة انعقاد مؤتمر الموسيقى الشرقية في القاهرة هذا

العام بفضل اهتمام مصرية صاحب الجلالة الملك

فؤاد الأول

جعلت هذه الرواية تحت تصرف اللجنة العليا للمؤتمر لتعرضها
وما اشتملت عليه من القطع الفنية والمواقف الملحنة على مضمرات
المؤتمرين ضمن ما يعرض عليهم من النماذج عن جهود مصر
الحديثة في الفنون الثلاثة . التأليف القصصي . والتعبيل .
والتلحين م

اصمير سوفي

١٤ مارس سنة ١٩٣٢

تمهيد

(١) زمن الرواية :

حوالى سنة ١٧٧٠ ميلادية

(٢) مكانها :

الفسطاط والصالحية وعكا

(٣) أشخاصها :

على بك الكبير	حاكم مصر	ويلقب بشيخ البلد
محمد بك ابوالدهب	متبنى على بك والخارج عليه ومن أمراء المماليك	
مراد بك	من أتباع على بك وأولاده	
ضاهر العمر	صاحب حصن عكا وحليف على بك	
مصطفى اليسرجى	« الجلاب »	

{	آمال
	شمس
	زكية

إماء معروضات للبيع

عشاق	شاب شركسى مع الجلاب
ام محمود	الماشطة والواسطة في بيع الجوارى
رزق الوكيل	وكيل على بك
بشير بك	من أصحاب على بك
عثمان بك	» محمد بك
قائد الأسطول الروسى فى عكا	
أمراء	
جواسيس	
قواد	
جند	
فتيات	
أغوات	
خدم	

الفَصِيلُ الْأَوَّلُ

في

قصر على بك الكبير

« حجرة من القصر واسعة نغمة على الطراز المرقى ، مفروشة بنفيس ،
« الطنافس قد نثرت فيها الوسائد والصفوف وزين سقفها بثرات الزجاج الملون ،
« المشكل وركزت في زوايا أرضها للشعدانات الكبيرة . . »
« جلس هناك في انتظار دخول على بك الكبير مصطفى »
« اليسرحي « الجلاب » ومعه ثلاث فتيات شركسيات « آمال » «
« وشمس » و « زكية » وشاب شركسي اسمه عشاق من جنسهن ،
« وقرابتهن وام محمود الماشطة »

زكية : يا أمَّ محمودَ تلك دنيا	وهكذا فلتكُ القصورُ
وهكذا شمس في الليالي	تنزل هالاتها البدور
قصرُ سماواته الثريا	وأرضه الوشيُّ والحريُّ
ام محمود : ونحنُ يا شمس نحنُ بؤسُ	بيوتنا الجصُّ والحصيرُ
نُنْقَلُ من حُفْرَةٍ لِلْحَدِيدِ	تساوت الدورُ والقبورُ
شمس : يا أمَّ محمود خبريني	أهنا ينزلُ الأميرُ
ام محمود: أجل	

شمس : ومن ذا وما يُسمَّى ؟

أم محمود : سلطان مصر على الكبير

شمس : والطيبُ يا أمُّ لم تسمِّي

مصطفى : لا تعجبي هم ملوك مصر

زكيه : وما الأميرُ يا يسرجي

مصطفى : قد جاوز الشباب الآ

أم محمود الماشطة :

ما بلدُ العزِّ غيرُ مصر

شمس : طعامُ شاهٍ طعامُ عرسٍ

ما القصرُ ما الفرشُ ما الأواني

ما الأكلُ ما الشرْبُ ما الطهارةُ

مصطفى : هذا هو الملكُ مُلكُ مصر

وأنتِ آمالُ ؟

آمال : خلياني

القصرُ كوخى على جبالٍ

ما تلكِ الا خزعبلاتُ

جلَّ لها الثلجُ والنباتُ

إذا عوى الذئبُ من مكانٍ أجابه الكلبُ والرعاةُ
 زكيه : أجل حنناً للجمالِ الشيبِ وللشتاءِ القارسِ العصيبِ
 وكلُّ رايحٍ واقفٍ للذيبِ أمّن خوفَ الحملِ الرعيبِ
 تلمحه كالعلمِ المنصوبِ والوعلِ في الجيئةِ والذهوبِ

والديديبات في فم الدروب

مصطفى : بخ بخ مرحى يا كومة الشحم
 يا جَزَرَ بلوطٍ لكن من اللحم
 أم محمود : أعرفتَ يا جلاب أنك جئتَ بالحملِ الثقيلِ
 عن تلكَ كان لنا غنى ماتلكَ الا سقطَ فيل
 مصطفى : يا أمَّ محمودَ اقصدي لكلِّ لعةٍ ثمن
 إن سُرَّاةَ الناسِ في مصرَ يحبون السمينَ
 وهذه الكومةُ في ها سمينٌ لكن حسنٌ

« يسمع آذان العصر بصوت شجي من محراب في دار الامارة فتلفت »

شمس بأم محمود وتقول :

شمس : ما هذه الرنة في قبة القصر
 زكيه : صوت من الجنة يهتف بالعصر
 أم محمود : ما زالت السنة والبر في مصر
 يا رب أيدها بالعز والنصر
 شمس لعشاق:

قم غن يا عشاق أغنية المعاز
 وناج بالأشواق أحبة القوقاز
 عشاق يغني: كوخ وراء الجبال
 فديته لا أبالي بكل قصر مَشِيد
 ما مرة يوماً يسالي الا بملت خدودي



يا منزل القوقاز غم من بعيد صباحاً
 لمت لمعة بازي في الجوَّ سلَّ الجناحا
 سلَّم على للمعاز اذا غدا أو راحا



وقل له يا راعي
اسمع على البعد راع
هل أنت للعهد راع
« بعد صمت وأطراق من الجميع »

ام محمود للبنات :

تعالين بنات الشرك
س الفيد تعالينا
زكيه : ولم ؟ ماذا ؟

ام محمود :
تعالين
فلا أترك لا شعرا
ولا خدأ ولا عيناً
ام محمود لشمس :

تعالى أيها الشقرا
هلمنى اقتربنى منى
غداً يأخذك الشارى
وهاتِ شريك التبرى
وألقى الرأس فى حجرى
وما تدرين من يسرى
ام محمود لآمال :

تعالى أيها السمرا
أشعر ذاك آمال
فان الخير فى السمر
أم الليل اذا يسرى

قضاك الله للوالى أو الحاكم فى مصر
آمال فى غضب :

دعنى مرأة السوء دعنى يومه الشر
قضاك الله للجوع وللجفن وللقبر
أم محمود لمصطفى :

ياسيدى النحاس هذه ضبعت
ألا اذا ساوينا فيها سبعت
آمال الى حاجتها :

قوما اليها

شمس : وأنت ؟

آمال : لا . لا أحب الفضولا

على ثوب جمال ما احتاج يوماً ذيو لا

شمس : ما الخطب ؟ مِمَّ غَضِبْتَ آمالُ

زكيه : ما بالها ساخطة ما بالُ

أم محمود : غبية ما عرفت ما المالُ

مصطفى ممساً لشس :

شمس .

شمس : يسرجى

مصطفى :

أنظري

آمالُ ماذا غمَّها

ميلي إليها وخُذِي

فيا يُسرِّي همَّها

آمال : بل الحقُّ معي وخُذِي

وَأَنْتِ النَّبِيَّاتُ

سَوَامٌ نَحْنُ أَمْ نَحْنُ

نُفُوسٌ أَدْمِيَّاتُ

أم محمود لركيه :

وَأَنْتِ يَا ضَخْمَةُ يَا بَدِينَةَ

يَا مَحْمَلًا يَحْطُرُ فِي الْمَدِينَةِ

قَوْمِي إِلَى أَنْبَلَى لِلزَّيْنَةِ

رُزِقْتَ عَمْدَةً بِلَا قَرِينَةٍ

ثُرُوتُهُ فِي دَارِهِ دَفِينَةٍ

يَطْلُبُ مِنَّا أُمْرَأَةً سَمِينَةٍ

مصطفى : يَا أُمَّ مَحْمُودَ . أَرَى

آمَالَ جَدٍّ مُفْضَبَةٍ

هَاجِجَةً صَاحِبَةً

ثَّأْرَةً مَقْطَبَةً

فِي وَجْهِهَا تَكَادُ تَبْدُو

نَفْسَهَا الْمَعْدَبَةَ

مصطفى لآمال :

آمالُ بِنْتِي اسْتَرْجِي

وَقَلِّي التَّفَكِيرَا

لَا تَحْمِلِي هَمَّ شَيْءٍ

دَعِي لِي التَّنْدِيرَا

عسايَ أَغْنَمُ مُلْكًا أو استفيدُ أميرا
 فتَحْكَمِينَ بِمَصْرِ وتنزلين القصورا
 مُلْكُ الْجَمَالِ كَبِيرٌ زِيدِيهِ مُلْكًا كَبِيرًا
 صَوْنِي جَمَالَكَ هَذَا عن أَنتَ يَعِيشَ فَقِيرًا
 آمَالُ : يَا أَبِي مَا تُرِيدُ بِي أَنتَ تَلْهُو وَتَلْعَبُ
 مُلْكَةً أَوْ أَمِيرَةً أَهَذَا الْقَبْ
 حُلُمٌ ثُمَّ يَنْقُضُ وَأَمَانِي تَكْذِبُ
 كَيْفَ تَسْمُو إِلَى الْعَلَا ابْنَةُ بَاعِمَا الْأَبِ
 ثُمَّ مَسْتَمِرَّةٌ : أَبِي تَاجِرٌ كَمَا سُنْتُ وَكَيْفَ ارْتَدَّتْ فَاحْتَرَفَ
 وَلَكِنْ لَا تَرُمُ مِمِّي وَلَا فِي هَذِهِ الْغُرْفِ
 فَبَيْعُ الْجَنْسِ فَاحِشَةٌ أَلَيْسَ كَذَلِكَ اعْتَرَفَ
 أَبِي شَرَفٌ عَلَى فَقْرٍ وَلَا فَقْرٌ إِلَى الشَّرَفِ

مصطفى لنفسه :

يَا مَالُ مَا فَيْكَ مِنْ سَحْرِ وَمِنْ خَطَرٍ
 لَقَدْ نَزَلْتَ بِنَا عَنْ رَقَبَةِ الْبَشَرِ
 تَاجَرْتُ بِالْجَنْسِ حَتَّى صَارَ مُحْتَقَرًا
 عِنْدَ الشُّعُوبِ وَمَا جَنْسِي بِمُحْتَقَرٍ

ذهبتُ بالشركس الأسادر أعرضهم
عرض الرعاق صغارَ الشاء والبقر
لولاك ما بعْتُ أطفالي فما كبدي
من الحديد ولا قلبي من الحجر

مصطفى يقبل على آمال :

طفلةٌ آمالُ أنتِ أنتِ ما تدرينَ شيئاً
ههنا الدنيا ومُلكٌ لك في الدنيا تهيتا
آمال : خلُّ عنك المُلْكُ والقصرَ ولا تذكرِ عليّاً
إن ما تصنعُ بي قد بفضّ الدنيا اليّا

د لنفسها :

ربّ جنبني شبابَ ذا البلد لا يُصبنى منهمو ربّ أحد
لي أخٌ في أرضِ مصرِ باعة والدي لم يخش من بيعِ الولد
ركبَ الآفاقَ فرحاً ما له من جناح الأب والأمّ سنّد
فجعَ القريةَ فيه وسقى أمّه الثكلَ فماتت بالكمد
لستُ أنسى عبراتِ إثره قد جرّت شيعته حتى ابتعد
وهو يومى يبيد من رقة وأبى من غضبِ يومى يبيد
ربّ ما صارَ إلى أينَ انتهى أهو في الخيلِ لولاه أم وتذ

يوسف المسجود في مصر له أم من الجوع ليوسف سجد
زكيه : وأين بنو السلطان لم لا نراهمو
أليس له ابن يفتدى ويروح
يرف الشباب الفض من طيلسانه
وينفخ ريحان الصبا ويفوح
شمس : فلا خير في دار إذا لم يطف بها
نسيم شباب أو شعاع جمال
ولا خير في روض بغير بهار
ولا خير في قايغ بغير غزال
مصطفى : أجل له ابن
شمس : ما اسمه ؟
مصطفى : محمد العالی النسب
شمس : لعله ابو الذهب ؟
زكيه : لله ما أحلى اللقب
ففيه رنة الذهب
مصطفى : متبني الأمير والمتبنون بهذي البلاد كالأبناء

نعتوه لنا فقالوا أميرٌ
 تُغدقُ الألسُنَ المديحَ عليه
 أريحي من صفوة الأمراء
 مَلِكٌ سابقٌ إلى كلِّ فضلٍ
 نابع الغرسِ عبقريُّ البناءِ
 ثم مستمراً: وانت يا أمَّ محمودَ
 ما الذي تعلمينا
 أم محمود: محدثٌ ليس برَّاً
 ولا وفياً أميناً
 بالأمسِ عَقٌّ أباهُ
 فكان شرَّ البنينا
 واليوم يشهر حرباً
 على الأميرِ زبونا
 وأما أخوه

زكيه : كيف مَنْ ؟ هل له أخ ؟
 أم محمود : أجل وهو أيضاً لم يلد له أبوه
 زكيه : اذن فعلى والدُ الناسِ كلِّهم
 وكل شباب الضفتين بنوه
 وكيف الفتى يا أم محمودَ ما اسمه ؟
 أم محمود : غلامٌ وضيُّ الفرقينِ جوادُ
 رأيته مثلي تذكرن ساعةً رأيته
 شمس : مَنْ ؟ ما اسمُ الأميرِ

أم محمود : مراد

أم محمود لآمال :

هناك آملُ ابنتي هناك

آمال . ما ذاك يا أم اذكرى ما ذاك

أم محمود : الحظ يا بنتاه قد أعطاك

عُشِقْتُ عَشَقًا سَوْفَ يُرَوِّى فِي السَّيْرِ

عِشْقُهُ لَه فِي مِصْرَ وَالشَّرْقِ خَطَرُ

وَعَاشِقُهُ عَلَى السَّاءِ كَالْقَمَرِ

آمال : يا أمَّ محمودَ هَذِيكَ مَا الْخَبَرُ

أم محمود : لَقِيتُ مُرَادًا أَمْسِ

آمال : ماذا يهمني ؟

أم محمود : عَجِيبٌ أَلَا يَعْنِي النِّسَاءُ مُرَادُ

وَقَدْ عَلِمَ فِي مِصْرَ فِي الشَّرْقِ كُلَّهُ

نَبِيلٌ كَأَنْبَاءِ الْمُلُوكِ جَوَادُ

يُحِبُّ عَلِيًّا جَدَّهُ وَيُحِبُّهُ

حَلِيٌّ فَبَيْنَ السَّيِّدِينَ وَدَادُ

كأني به نال الولاية وانتهت
 إليه أمور في غيد وبلاد
 يُحبك يا آمالُ حبًّا مُبرحاً
 على مثله ما انضم قط فؤاد

زكيه : عرفته

آمال : ومن ؟

زكيه : أمس إلى السوق حضر فتي

ذلك الخفيف كالقنا ة والوضي كالقمر

أتى لنا أمس فما اختص سواك بالنظر

آمال : عرفته ذلك الوقاح في دعا به الهذر

ذاك الذي قلبنا أمس كتقلب الحضر

شمس : وكنت أنت قبلة لا لمحظ وموضع الفكر

أم محمود : وأنت كدت وزكية الحصير المحتقر

آمال : أو ذاك الذي تقولين يهواني

أم محمود : أجل وهو أرفع الناس قدرا

هَدَى صِهْ هُسْ انظرا ها هو ذا قد حضرا
« يدخل مراد بك »
مراد بك عند الباب لنفسه :

ويح لي رب ما أرى أم مح ود إلهي وهذه آمال
هي في القصر كيف جاءت إليه

كيف وافاه مصطفي المختال
أتراها قد حازها العلي جبر الجاه واحتواها المال
كيف هل بعد في فؤاد علي

موضع يحتوى عليه الجال
رب مالي أها بها كلما قت ومالي يردني الإجلال
وأنا الذئب لم تسلط على قلبي

مهة ولم يسيطر غزال
ثم لام محمود ومن معها :

سلام أم محمود سلام يا بنياتي
أم محمود : سلام لك مولاي

وعلوي التحيات زكيه :

مراد بك وبشير إلى آمال : أم محمود مالها ما لتلك الحبيبة

أم محمود : ما لها سيدي انظري كيف تبدو مقطّبه
مراد بك :

لَقَيْتَنِي فَلَمْ تَقُمْ بِلِقَائِي مُرَجَّبَهُ
ما لها اليوم مثل عهدي بها أميس مُغَضَّبَهُ
أم محمود : سيدي قد ظلمتها إن بنتي مُهْدَبَهُ

غير أني وجدتها مُذْ بَدَا الصَّبْحُ مُتَعَبَهُ
شمس : معذرة يا سيدي لأختي المُعَذَّبَهُ
نحنُ النهارَ كُلَّهُ كالسالمِ المُقَلَّبَهُ

مراد بك : مصطفى

مصطفى في ناحية وحده : سيدي

« لنفسه » ! ذا مراد

وَيَحْجَهُ مَا أَضْلَهُ فِيمَ جَاءَ
مراد بك : مصطفى هل نسيتَ أَنَا التَّقِينَا

عِنْدَ سَوِّقِ الرِّقِيقِ أَمِيسَ مَسَاءَ
مصطفى : سيدي ما نسيتُ واليومَ نَسْتَا

نَفْءُ فِي حَجَرَةِ الْأَمِيرِ الْإِقَاءَ

مراد بك: والتي اخترتُ من طبائِكَ

مصطفى : نرجيها الى أن يرى الأميرُ الأطباء

مراد بك: أترى ما تزالُ تأتي

مصطفى : أجل

مراد بك: ويحك هل يملكُ الرقيقُ الإباء

آمال : سيدي مَنْ عَنيْتَ أَقلُّ لي بِنِ عَرَضَت

مراد بك: أعني المصلحةَ الحسنة

آمال : سيدي إِنَّا حَرَّائِرُ ما زِلْنَا

مراد بك: ولكن غداً تصرفُ إماء

آمال : وَغَدَ سيدي عليه غطاء

أترى عن غَدِ كَشَفَتِ الغطاء

مراد بك: قُمْ مصطفى هذه الحسنة تُعْجِبُنِي

أليس يكفيكُ فيها ألف دينار

مصطفى : أَلْفٌ؟ قَبِلْتُ

مراد بك: إذن تأتيك كلمة

فاخرج بينتك واحملها الى داري
آمال : أبي . أنت تمضي بي وتحملني
كالشاة هذا لعمرى أعظم العار

مصطفى : آمال

آمال : قف أنت عبدُ المال يا أبي
تلقى البريء لأجل المال في النار
لا سيدي لا أبي لا تذكرنا
فلست مخلوقة للبائع الشاري

مصطفى لنفسه :

رباه أعظم من وجدى ومن شفى
على ابنتى اليوم إعجابى وإكبارى
وأنت تعلم والأفعال شاهدة
أن ابنتى حرة من نسل أحرار
يا ألف سحقاو يا مال أمض من سبلى
تقطعت منك أسبابى وأوطارى

« ثم لآمال :

آمالُ هيَّ اذ كرى لى كيف أدفعه

« ثم لنفسه : ماذا أقولُ فإننى لستُ بالدارى

آمال : أبى أما نحنُ فى دار الأميرِ على

إنى لجارةُ حُرٍّ مانعِ الجارِ

لا أبرحُ القصرَ الا عن مشيئته

فحكمه هوى النافذ الجارى

مراد بك : ويح لى قد رُددتُ أقبح ردِّ

وأبت أن تُجيبنى الحسناء

« مصطفي : سرى من يفوز بالبنت يا وغدُ

« لآمال : ومن يقتنيك يا حمقاء

« ويخرج مراد بك »

آمال لنفسها :

ما بال قلبي بمرادٍ مُذْ تلاقينا اشتغل ؟

لعلى أُخِبتُهُ لا . لا فالى والرجُل

عسى قد همتُ به هذا لعمري الخَبَلُ

خياله في فكرتي في كل ساعة مثل
 مالى أحسُّ لاجبا بين الجوانح اشتعل
 إن فُتِحَ البابُ يرى أولَ أنسانٍ دَخَلَ
 أو جىءَ بالزادِ وجدته . بجاني أكل
 وإن شربتُ خَضَرَ الماءِ فعلٌ ونَهْلٌ
 (قد أَخَذَتْ صورته على مشاعري السُّبُل)
 وحيث سرتُ طاف بي وأينما حلتُ حلٌ

ام محمود تنظر الى الباب وتقول :

أرى الأبوابَ قد فُتِحَتْ وأسمعُ وقعَ أقدامِ
 مصطفى : على جاء قُمنَ له بأجلالٍ وإعظامِ

يدخل على بك وفي حاشيته رزق الوكيل . . الاغا مرجان ، بعض الخدم

على بك : أضعنا نهـارك يا مصطفى أطلنا انتظارك لا عن جفا
 مصطفى : يباب الأميرِ ولى النعم يطيب الوقوفُ لأوفى الخدم



صورة رفا -

أعلننا انتظارك لا عن جفا
أضمننا نهارك يا مصطفى

على بك :

على بك هماً لمصطفى :

يا مصطفى قد بعثني	من سنوات ولداً
مصطفى : أجل صبي كان من	أذكي الصغار محتداً
على بك : ما أرتبتُ فيه ساعة	أن سيكون سيداً
مصطفى : عاش أبوه لا أرى	أباه إلا أسوداً
على بك : ولكنه لم يدُر في البلاد	ولم يعرف الناس حتى فسد
فسلّ الحسام وهزّ القنّاة	وأصبح عزير ل هذا البلد
مصطفى : ذاك ذئب لم أبعه	حنش غيري باعه
بئس ما باعوك يا مولاي يا شؤم البضاعة	
على بك : وأين البنيات ؟	
مصطفى :	هاهنا قد
على بك : تخير الحسن قبلي	من وقار المولاي في المجلس
ونم ل رزق : يا رزق ما أنت راء	فكيف كيف اختياري
رزق الوكيل :	كذا تكون الجواري
أم محمود : بل قل ثلاث شمس	تنزلت في نهــــــــــــــــار

على بك مازحاً :

من أنتِ يا شرَّ وجهٍ ومن أحلكِ داري
 أم محمود : أنا يا مولاي حسنى الماشطه
 لنفسها : آه من لى بحياةٍ ثانيه
 ليتني يا ليتني يا ليتني
 آه لو ينفع قولى ليتني
 أم محمود تأخذ يد شمس وتأتى بها :

فهذى كاسمها شمسٌ ولكن حُسْنُهَا أَحْسَنُ
 على بك : تعالى الله ما أبهى تعالى الله ما أفتنُ
 « ثم ترجع شمس وتأتى بزكيه »
 أم محمود : وهذه زكيه

على بك ممرضاً عنها وشيراً الى آمال :

وهذه الحورية ؟

أم محمود : مهابة فداها الفيدُ من شركسية
 لها سيرةٌ عند الملوكِ تدارُ

إذا برزت ودَّ النهارُ قبيحها
 يُغيَرُ به شمسَ الضحى فتعَارُ

وإن نهضت المشى ودّ قوامها

نساء طوال حولها وقصار

لها مَبْسَمٌ عاشَ الخليجُ لأجله

وعاشت لآلٍ في الخليج صغار

على بك: ما اسمُ هذى الفتاةِ

آمالُ الحسناءِ

ام محمود:

آمالُ كيف أُلقيتِ قصرى

على بك لآمال:

ولم لا ألتَ سلطانَ مصر

آمال : جنةُ الله يا أميرُ على الأرضِ

ما موقعهُ منك؟

على بك: وهذا الوشى والديباجُ

من البلورِ والسِّلْكِ

وهاتيكِ المصاييحُ

بالصندلِ والسكِّ

وهذا الخشبُ المصنوعُ

والقوقازِ والتركِ

لقد طُفَّتِ على فارسَ

والثروةِ والمُلْكِ

وأدخلتِ قصورَ العزِّ

هذا الصُّنْعَ أو يحكى؟

فهل أبصرتِ ما يُشبهُ

ثم مستتراً: وكل ما أبصرت في قصرى من صنْعِ البلادِ
فليس يعملوا الصانعَ المصرى في الذوق أخذَ
آمال : لا عَجَبٌ مولاى يا طالما قد بلغَ الفنُّ بمصرَ الكمالِ
على بك : لكن أرى القوقاز أطل يدا من غيرِه يصنَعُ هذا الجمالِ ؟
آمال : سيدى
م.مطفى همسا :

حاذرى ابنتى قدرى المو قف لا يخطر العقوقُ ببالك
آمال : لا أبى خلنى أبخ أشكُ بئى خذل الصبرُ قلبى المتمالكِ
على بك : سيدى

على بك : ما أرى ؟ دموعٌ لآلٍ ذهبت في الخدودِ شتى المسالكِ
ميم تشكين يا ابنتى ما وراء الدمع ؟

آمال : لا شئ
على بك : يئنى ما هنالك

آمال : سيدى غيرُ شأنا بك أوى

هذه السوقُ لم تاقُ بجلالكِ

تُشتري النفسُ أو تُباع على الأرض ولم يرضَ فى السماء الملاك

معطى : قللى الهمَّ يا بنتى والتشكى

وانظرى الحالَ وافكرى بآلاكِ

هذه السوقُ نعمةُ الوطن البائس منها

على بك : ونحنُ نعلمُ ذلك

أنا أيضاً مررتُ بالسوقِ يا أما

لُ حالى يا بنتُ من مثلِ حالِكِ

قد وقفنا بهذه السوقِ نبغى دولا من ورائها وبملاكِ

وقديماً كانت سبيلَ المعالى للمهاليكِ أو سبيلَ المها لكِ

« مستمراً : لكِ اللهُ يا آمالُ أنتِ كبيرةٌ

وكلُّ كبير النفسِ سوفَ يسود

فداؤكِ نفسى هذه نفسُ حرةٍ

وهذا إياه ما عليه مزيد

أَتَيْتِ بِمَا لَمْ يَأْتِ فِيمَا مَضَى لَهُمْ
 مَلُوكٌ عَلَى عَرْشِ الْكِنَانَةِ صِيدَ
 شَرُونَا وَبَاعُونَا صَغَارًا وَفَتِيَّةً

كَمَا بَاعَ سُودَانُ بِمَصْرَ عَيْنِدُ
 فَمَا كَانَ مِنَّا مَنْ رَأَى الرِّقَّ سُبَّةً

وَمَنْ قَالَ عِنْدَ الْبَيْعِ لَسْتُ أُرِيدُ

ثُمَّ مَسْتَمِرًّا : الْخَطْبُ غَيْرُ عَظِيمٍ لَا تَحْزَنِي يَا فَتَاةُ

وَكُلُّ جَرِيحٍ يُدَاوَى إِنَّ عَاجِلَتَهُ الْأَسَاءَةُ

آمال : مَوْلَايَ قَالُوا رُزِقْتَ نَفْسًا فَضَائِلُ الصَّالِحِينَ فِيهَا

بَأَى دِينَ تَحُوزُ رَقًى وَتَشْتَرِي الْبَنَاتَ مِنْ أَيْهَا

عَلَى بَك : أَبُوكَ

آمال : أَجَلٌ وَالَّذِي

عَلَى بَك : مَصْطَفَى أَأَنْتَ أَبُوهَا

مَصْطَفَى : أَجَلٌ سَيِّدِي

عَلَى بَك : فَمَاذَا تَرَى

مصطفى : في يدك الفتاة

تصرف لقد خرجت من يدي

على بك : دع البيع يا مصطفى والشراء

وزوج فتاتك أو فاردد

مصطفى : بمن ؟

على بك : بي

مصطفى : إلهي !

على بك : أجل بي أنا

مصطفى : سمعت فتاتي اشكريه احمدى

آمال : علام أجرته بعد ؟ لا سأعلم ما صاحبي في غد

على بك : لم تقبلي الرق منذ حين يالك من حرية نبيله

والآن تخشين من زواج تمسين في ظله ذليله

آمال

آمال : مولاي

على بك : هاك قصرى سوسيه بالنبل والفضيله

ام محمود: تَحِيَّةُ لِلْمَلِكَةِ مِنْ أُمَّةٍ فِي الْمَلِكَةِ

مصطفى: أَقْبَلْ سِتْرَ مَوْلَانِي

آمال :

أَبِي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ

مُرَى وَانْهَى عَلَى الدَّارِ

س فِي أَرْجَاءِ آذَارِ

وَأَذْخَارِي وَأَسْرَارِي

وَلَا تَسْغَلِكِ أَسْفَارِي

خُفُوفُ الْأَسَدِ الضَّارِي

سَفَارِ الْقَمَرِ السَّارِي

قَدْ طَوَّقَنِي خَيْرَ يَدٍ

هَاتِ أَضْعُ فِي رَاحَتِيكَ قَبْلًا بَلَا عَدَدٍ

عَلَى بَيْتِكَ وَأَنْتَ الْمَلِكَةُ الْيَوْمَ

وَحُلَّتْ بِهَا حُلُولُ الشَّمْسِ

وَكُونِي قُلُوبَ أُمُومِي

وَلَا يَهْمُكَ تَرَاخِي

فَلَمَعْنِي وَالصَّيْدِ

وَالرَّفْعَةِ وَالْمَجْدِ

آمال : مَوْلَانِي هَاتِيهَا يَدًا

هَاتِ أَضْعُ فِي رَاحَتِيكَ قَبْلًا بَلَا عَدَدٍ

مصطفى: يَا لَجَلَالِ وَالْخَطَرِ وَيَا تَوْفِيقِ الْقَدَرِ

مِنَ الْبَشِيرِ بِالْخَيْرِ إِلَى الْبُيُوتِ وَالْأَسْرِ

حَظُّ لَعْمَرِي قَدْ كَمَلَ فَمَنْ يُبْلَغُ الْجَبَلِ

وَكُلُّ دَارِعٍ نَزَلَ عَلَى الشَّعَابِ وَالْقُلَلِ

أَنَا ظَفَرْنَا بِالْأَمَلِ

أم محمود : قن بنات الشر كس
 زدن سرور المجلس
 شمس : عشاق ماذا أخرج
 قم لآعب الغيد نرك
 عشاق : غدا يُفقد للوالى
 جبال الشر كس اختالى
 هلموا الفرح الأكبر
 غدا يمتلك الوادى
 فمن طالب أفراح
 هلموا الفرح الأكبر
 غدا ينتهج العصر
 وتُجلى الشمس والبدر
 هلموا الفرح الأكبر

هتاف خارج القصر :

لا زلت منصور القنا
 أطعمتنا سقيتنا
 يا أسد المارك
 يارب زد وبارك

على بك : اسمعوا

رزق : ضجة

الافارجان: أجل وابهال رجال بسيدى يهتفونا

على بك : من ترسى الهاتفون رزق ويا مرجان أخرج فانظر من الصاحبونا

الأغا : عادة تلك كل يوم خميس عندنا ألف جائع يطعمونا

على بك : امض فاجعل فى كف كل فقير

ذهبا يطعمون منه البنينا

نفحة من أميرة النيل مولايك

آمال : بل منك سيد المحسنا

رزق : مولاي

على بك : من ؟ أو رزق ذا ؟

رزق : كم ذا تجود وكم تهب

إن الخزانة أصبحت

الفضة انفضت وما

رمضان راح بنصفه

والنصف راح به رجب

بندك كالجر الخرب

قد كان من ذهب ذهب

على بك: أجل نحنُ أطعمنا الفقيرَ ولم يكنْ
 له في قصور المترفين طعام
 ونحن سقينا ابن السبيل ولم يكنْ
 يُبَلِّغُ له فوق الطريق أوامُ
 ونحنُ حضنَّا اليتيمَ نمسحُ دمعَه
 وآواهُ منا محسنونَ كرامُ
 ترى الزادَ مبدولاً وفي كل ساحةٍ
 يتسامى قعودٌ حوله وقيامُ
 ونبنى فركنٌ للثقافة والحجاءِ
 يُشَادُّ وركنٌ للصلاة يُقامُ
 ودارٌ يُواسى البؤسُ فيها ومنزلٌ
 تداوى جراحاتُ به وسقامُ
 ويزفُّ بالعجاءِ نأسو جراحها ثقاتُ على ساحاتنا وتنامُ
 على بك للأغا مرجان وهو بالباب :
 مرجان خير

- مرجان : سیدی بشیرُ
 علی بك : أدخله ليسَ دونهَ سُتورُ
 «آمال : أميرتي لا تُراعي بشيرُ من أولادي
 آمال لام محمود :
 إن مولاي شغلُه بالمهمات قد كثرُ
 ام محمود
 ام محمود : ملكتي ما تُريدنَ ما الخبرُ
 آمال : شمسُ
 شمس : لبيك ملكتي دونك الشمس والقمر
 آمال زكية : أختُ
 زكية : أفديك ملكتي زاد في شأنك القدرُ
 آمال : جلنَ في القصرِ جولةً وتنقلنَ في الحُجَرِ
 نحنُ في الودِّ والصفاءِ كأمسِ الذي غَبرُ
 عِشْنَ ضيفاً عليَّ في القصرِ ما امتدَّ بي العُمرُ
 « يخرجن مع مصطفى وعشاق . . ويدخل بشير بك فتتحنى آمال ناحية »
 « من الحجرة تشرف من نافذة فيها على ساحة الدار »

على بك: ماذا وراءك يا بشير
 بشير بك: شأنه — أعرضه خطير
 على بك: قل
 بشير بك: لا أقول لأنه شأنه يسر إلى الأمير
 على بك يذهب ببشير بك إلى ناحية أخرى من الحجرة :
 على بك: عجل وكاشفني بما بلغت من الجد الأمور
 والبؤ

بشير بك: من ؟
 على بك: أبو الذهب
 بشير بك: يأخذ للشر الأهب
 حاز الأقاليم إليه وتآلف العرب
 والغز في ركابه والشعب جذلان طرب
 فلنرتحل فرما جن فمجل الطلب

على بك: أرى الأزمة اشتدت وأبطأ انقراجها
 بشير بك: فصبراً عساها آذنت بذهاب
 على بك م — ٣

على بك : صبرت طويلا يا بشيرُ فما جلا
 ولا زلَّ الصبرُ الجميلُ مُصابي
 ولو أن رُزئي بالفريب احتملته
 ولكن بأهلي نكبتني وعذابي
 يُطاردني في الأرض من دَبٍّ في يدي
 ورُبِّي في جحري وشبَّ يبابي
 ومن طلب الدنيا يبأسى وسطوتي
 فلما حواها في يديه سَطَأَ بي
 ومن عِشتُ أُنبيه وأُعمِّرُ ركنه
 فصيرَ هدمي سُغْلَه وخرابي
 لقد آن أن أسعى وأن أدفع الأذى
 بشيرُ امض هَيَّيْ للرحيلِ ركابي
 الى كم قعودي عن عدوى وكيله
 وهذا عدوى لا يَمَلُّ طِلابي
 سأخرج نحو الشام في فلٍّ شيعتي
 فهي جِيادِي وادعُ خيرَ صحابي

بشيربك: وماذا وراء الشام

على بك: أَشَدُّ ضَرَاغِمَ

أَلْفُهُمُوا حَوْلِي لِنُصْرَةِ غَالِي

يزيد بهم جيشي وتقوى عشيرتي

ويشدُّ ظفري في القتالِ ونابي

الآن فرغنا

بشيربك: أَجَلُ سَيِّدِي أَأَمْضَى؟

على بك: بل ابقِ انتظر يا بشيرُ

إِذَا أَنَا قَضَيْتُ هَذَا الْمَسَاءَ بِقَرَبِ الْأَمِيرَةِ مَاذَا يَصِيرُ

بشيربك: وليلَ غدٍ والذي بعده

وإن شئتَ فابقِ الليالي الكثير

ونحنُ فنمضي فنأتى العريش

ونبقى بها بانتظار الأمير

تُرَيْغُ الجواسيس طولَ الطريق

ونهربُ من مُنْكَرٍ أو نكبر

وتُدرِكنا أنتِ مستمِلا

كثير التواری قليل الظهور

على بك : بل امض بنا سِرِّ بنا سِرِّ بنا

فما جلبَ الحیرَ مثلُ البكور

وهم لامال : لا تجزعی أمیرتی لا بد لی من السفر

لقد دعت حادثة من الحوادث الکُبر

آمال : کیفَ زواجٍ وصفرٍ

على بك : مُزاحةٌ من القدرِ

أغیبُ شهرًا واحدًا فانتظری

آمال : سأنتظرُ

على بك : ما أنتِ الا مَلَكٌ نَهَى بقصری وأمرُ

فی ذمّةِ اللهِ یاربّةِ القصرِ

آمال : وأنتِ مولای سُبُغتَ بالنصرِ

على بك لرزق : سأصعدی ارزقُ نحو الصعید لشغلِ

رزق : ولیم لا صُعودَ القمرِ

« ثم نفسه : صُودَ الدخانِ الى ذِرْوَةٍ
 على بك : وما في الخزانةِ أوفى القصور
 « لآمال : هكذا مصر كلَّ يومٍ شتون
 وكان البلاد خيلُ جهادٍ
 رزق الوكيل نفسه :

لا رحلةٌ لا سَفَرٌ هذا لعمرى الهَرَبِ
 وما الصعيد يقصدونَ بل الى الشام الطلب
 أما أنا فقد ملأتُ اليدَ من أبي الذهب
 اذا الزمان بعلى بعد حينٍ اقلَبُ
 يجعلني محمدٌ على خزائنِ الذهب

على بك : سلامٌ على قصرِ الإمارة والغنى
 ويا ويا سلطاني ودست جلالى
 ووالله ما فارقت مغناك عن قلى
 ولا خَطَرْتُ سلوى الأمور بىالى
 وأعلمُ أنى عنك لا بدَّ زائلُ
 وأنتك منى لا محالة خالٍ

ولكن أمور قد جرت وحوادث
 بنقلة دنيا أو تبدل حال
 فخالفتني من كان عند إشارتي
 بصولُ بجاهي أو يعيش بمالي
 وعقّ الذي ربّيت في حجر نعمتي
 ووطأتُ اكتافى له وظلالى
 تألف أصحابي وألب شيعتي
 على وأغرى بالخروج رجالى
 لقد جئتُ بأبنٍ ليس لي فكأنما
 أنبتُ بأفعى من سحق تلالى
 تفرّق عني الناسُ إلا بطانتي
 ولم يبقَ حولي اليومَ غيرُ عيالى
 سامعنى وما عندى لهم إن تركتهم
 سوى قوتِ أيامٍ وخُبزِ ليالى
 وقد زعمَ الناسُ الغنى في خزانتي
 أتى من حرامٍ تارةً وحلالِ

وَأَقْسَمُ لَمْ تُحَرِّزْ يَمِينِي دِرْهَمًا
 مِنْ الْمَالِ إِلَّا أَتَفَقَّتَهُ شِمَالِي
 أُسِيرَ. أَجَلُ أَمْضَى نَعَمَ فَعَسَى السُّرَى
 تَرْوَحُ بِنَجْمِي أَوْ تَجِي بِهِلَالِي
 فَمَا الدَّهْرُ إِلَّا حَالَةٌ ثُمَّ ضِدُّهَا
 وَالْأَلْيَالُ بَعْدَهُنَّ لَيْسَالُ
 وَتِلْكَ الَّتِي أَحْبَبْتُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ
 وَأَشْرَكْتُ فِي مُلْكٍ وَشَيْكَ زَوَالِ
 أَعُودُ إِلَيْهَا فِي الْمَوَاقِبِ ظَافِرًا
 وَفَرَقَ بِالنَّصْرِ الْمُؤَذِّرِ حَالِي
 وَأَرْجِعُ حُرًّا تَحْتَ النَّيْلِ كُلَّهُ
 وَمَا مِنْ بَنِي عُثْمَانَ فَوْقِي وَإِلِ

« يخرج على بك ومعه بشير بك ورزق الوكيل ويبقى مرجان بالباب »

« تسمع ضجة وصرخة من امرأة أمام القصر تقول »

يَا رَبَّةَ الْقَصْرِ لَا مَسَّكَ الْفُرُّ

هل عندكم غوثٌ هل عندكم نصرٌ
 لحرة في وادٍ ليس به حُرٌ
 آمال : مرجان ويحي هذه صيحة
 وامرأة صارخة باهية
 مرجان أنظر

مرجان : هي ذى أقبلت مُعولةً صاحبةً شاكيةً
 « تدخل امرأة مقطوعة الاذن وصارخة »

آمال : ماذا دهي يا خاله أنتِ بشرٌ حاله
 ذا الدم من أساله

المرأة : جنودٌ وراء كبيرٍ لهم
 من الدين قد جردوا والخلق
 أتوا دارنا ففضى نصفهم
 أزال العفاف ونصف سرق
 ومال على أذنى بعضهم
 بسكينه طمعاً في الحلق
 آمال وتدفع الى مرجان صره :

مرجان خذ ناول

مرجان : تعالنى خدى

آمال : لا بأس يا خالة لا بأس

انتظري عودتي على غداً
ففي غدٍ يرتدعُ الناسُ
« المرأة تأخذ الصرة وتصبح مولودة »

وأُذني أين ألقاها
مضتْ أهاً لها آها
ويا مَنْ عنده أُذني
أما يكفيكَ قرطها

« تسمع ضجة ثم تدخل فتاة مذعورة »

الفتاة : سيدتي

آمال : وأنتِ أيضاً

الفتاة : رحمةً سيدتي

آمال : ما تشكين؟ مادي

الفتاة : الآن ياسيدي

يُذبحون إخوتي في ساحر الرُميلة

آمال : ويح لهم ما ذا جنوا

الفتاة : لاشئ

آمال : لا . لا بدء من دايع دعا

النفسُ لا تُقتلُ يا أختُ سُدى

الفتاة : صدقتِ يا أميرتى الالهنا

لا ينزلُ الرأسُ بمصرَ جسدًا

الانزولَ للرء في بيتِ الكرى

آمال : تذكرى قولى لى الحق اصدقى

الفتاة فى حياء : قد سرق الأخوة جحش الكتخدنا

سرّ امضِ مرجانُ مع الفتاة

واشفع لى الحاكم للجنّة

« ينصرف مرجان مع الفتاة »

يدخل أغا آخر ويقول :

مىدىتى

آمال : وأنتَ ما عندك قُلْ

الأغا : ابنُ الأميرِ سيدى مرادُ

آمال : ابنُ الأميرِ . اهى عَجَل جى به

أكلهم لىدى أولادُ

أَدْخِلْ مُرَادًا وَائْتِنِي بِمُصْطَفَى

آمال لنفسها : أَخَافُ أَنْ قُلْتُ أَبِي أَنْ يَعْرِفَا

« يَظْهَرُ مُرَادُ بَكَ »

آمال لنفسها : وَيَجِي وَيُجِي لِعَلِّي مَا أَرَى

إِنِّي أَرَى الْغَدَرَ عَلَى هَذَا الْفَتَى

مراد بك : تَحِيَّةٌ سَيِّدَتِي أَتَذَكِّرِينَ مَنْ أَنَا

آمال : كُلُّ الَّذِي أَعْرِفُهُ ابْنُ الْأَمِيرِ هَهُنَا

مراد بك : أُمِيرَتِي قَدْ خَدَعُوكِ مَا عَلَيَّ لِي أَبَا

مَا أَنَا إِلَّا صَاحِبٌ قَدَّمَ هُوَ وَقَرَّبَا

آمال : يَا عَجَبًا

مراد بك : وَمَنْ يَا مَالِكَةَ الْقَلْبِ الْعَجَبُ

وَكُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ أَنْ لَيْسَ عَلَيَّ لِي بِأَبٍ

وَلَيْسَ مَا يَمْنَعُنِي مَنْ أَنْ أُحِبَّ وَأُحَبَّ

آمال : تُحِبُّ أَوْ تُحَبُّ ؟ قَوْلٌ لَا يَلِيقُ بِالْأَدَبِ

نَسِيتَ لِلْقَصْرِ وَلِي وَلَأَيْكَ مَا وَجَبَ

مراد بك: قد عرفناك يا أميرتي أمس التقينا في معرض الجلاب
مراد مستمراً: ذهبت لأشترى فاشتراني وباعني

غزالٌ بسهم المقلتينِ رماني
هممتُ ولكن صاحبُ الصيدِ ردني
وصيرَ سلطانَ البلادِ مكاني
ولم يدر أنى فوقَ شأنِ محمدٍ
وشأنِ عليٍّ في الرياسةِ شانى
إذا ما حوتنى كفةٌ رجحَ الذى
رمى نى في ميزانه فحوانى

وجاء عليٌّ فاشترى

آمال : لست صادقاً بنى بى أميرٌ للمكارم بان
مراد بك: وطار عن الوادى

وماذا يعيبه أَلَمْ تُخَلِّقِ الْعُقْبَانَ لِلطَّيْرَانِ
مراد بك يقترب منها :

آمالُ لو تعرفينَا
مصطفى بالباب وقد سمع كلامهما لنفسه :

أرى شبحَ الجريمةِ حَامَ حَوْلِي
كَمَا نَاشَ الْفَرِيمَ الْأَفْعَوَانُ

آمال لمراد بك :

لا تدعني باسمي ولكن نادني بالقلب
مرادُ هَذَا هَوَسٌ قف عند حدِّ الأدبِ
مرادُ ما مقصورتى بمجلسٍ لأجنبي
أخرج

مراد بك : على رِسْلِكَ مولاتى

آمال : دعنى اذهب

مراد بك : بحقِّ الحبِّ مولاتى

آمال : ظلمتَ الحبَّ يا غادر

فما الحبُّ فُضُولٌ ولا لَصٌّ ولا فاجر
ولكن معدن النبل وكنز الخلق الطاهر

« تتحرر الممامة عن جبهة مراد بك فيظهر أثر جرح قديم على »

« جبينه كان قد أصيب به فى صغره »

مصطفى بعد أن يرى أثر الجرح وهو بالباب :

الهى هذا جرحه ذا مكانه
 أما كان طول الدهر للجرح لائما
 الهى هذا الجرح فوق جبينه
 مَضَتْ سنواتٌ ما مَحَوْنَ العلاما
 لقد بارز الصبيان بالسيف ناشئا
 فصادفَ سيفاً خدش الرأسَ صارما
 الهى أرى أشياءَ ثمَّ مهولةً
 وأشفقُ فيها من عقابك صارما
 الهى لا تجعله حقا ومُرَّ أَكُنْ
 بما أنا راه من عذابك حالما
 كفى غضبا يا ربُّ حسب عقوبةً
 وحاشاكَ لم تظلم ولم تَكُ ظالما
 الهى كانت هفوتى عن غوايةٍ
 فتُبْتُ فكنْ لى فيها اليومَ راحما

آمال لمصطفى :

وأبتا

مصطفى : لبيك آملُ
 آملُ : الى يا أبى
 مصطفى : أُحِبُّ بهذا الصوتِ أُحِبُّ بالنداءِ أُحِبُّ
 آملُ . أبى
 مصطفى : ابنتى أنتِ هنا
 آملُ : تعالِ قفْ بجانبى
 مصطفى : لا بأس يا ابنتى عليكِ دون ناديكِ دى
 آملُ : أبى لقد ديسَ العرينُ فى غيابِ الضيفمِ
 مصطفى : مَنْ فى مقاصيرِ الأميرِ ما أرى من الفتى ؟
 آملُ : ذئبٌ بشكلِ آدمٍ للصيدِ فى الغابِ أنى
 مصطفى : « مهمباً »

خنجرى أين خنجرى اليومَ منى
 يغسلُ العارَ والدنيةَ عنى
 فعسى أن يُريحنى من صبيِّ
 عابثٍ أو يُريحه هو منى

هو يظني بسنه سأريه
 أننى الليثُ ساعدى هو سني
 آمال : أبتِ ما تقول ؟ ماذا تلتست ؟
 مصطفى :
 سلاحى
 آمال : لا لا أبى لا ترُعى
 آمال لمراد بك :

بربك الا حققت الدماء
 مراد بك : دماي أنا أم دماء اللعين
 مصطفى : أتلعنى يا أضلّ الشباب
 أتلعنى يا أعقّ البنين
 مراد بك : ولم لا ومالك من حُرمة
 مصطفى : ستعلم ما حُرمتى بعد حين
 سأقلعُ عيننا سمّت للباق
 وأقطعُ رجلاً مَشَتْ فى العرين
 آمال : كفى هوساً أيتها الأمير

مراد بك: أبى هوسٌ ملكنى
آمال : بل جُنُونٌ

كفى جرأة

مراد بك: وعلامَ اجترأتُ ؟
آمال : على امرأةٍ تحفظ الغائبين

مصطفى : مرادُ لك الويلُ من سادرٍ وقاحِ اللسانِ وقاحِ الجبينِ
هتكتَ على الحزنِ محرابه ودُست على عبراتِ الحزين
ولم تحشم في خطابِ الشيوخ ولم ترج فيهم وقارَ السنين
دُم لنفسه وهويحت عن خنجره :

ربُّ ضلَّلُ يدي وحطَّمُ سلاحى
ربُّ لا تقضْ أننى أقتلُ ابنى
مراد بك: سيبقُ سيفى خنجر الشيوخ
مصطفى : مرجحاً

بسيِّفك من ماضى الحديد يمانى
فهاهـ مرادُ السيفِ هاهـ منيَّتي
أريح من عذابِ الحادثاتِ جناني
على بك م — ٤

مراد بك وقد شهر سيفه :

الهِمَى مَالِي قَدْ غُلِبْتُ عَلَى يَدِي

وما بالُ سيفي اذ همتُ عصاني

وما بالُ نفسي بعد طول جمودها

قد انفجرت من رحمة وحنان

عَفَوْتُ فَلَ يَأْشِخْ وَلِ عَنِّي أَنْطَلِقْ

وعش ناعماً في غبطة وآمان

مصطفى : اميرى ذا رأسى فخذ به بضربة « يخرج مراد بك »

عساني أرى هُذَا الضميرِ عساني

لنفسه ويتبع : أأُنبِيه ؟ لَمْ لَا ؟ لَا . بل استأن مصطفى مراد بك

أَأَذْكَرُ لَابْنِي كَيْفَ خِصَّةُ شَانِي

آمال لنفسها : ويح لي ويح قد قسوتُ عليه

وتجاوزتُ قِي العقوبة حَـدِّي

ما الذي استوجبَ الأميرُ

وما أذنبَ حتى رددته شرَّ ردِّ

ويحَ قلبي يُجِبُّه كَذِبَ القلبِ
 وبُعداً لِحُبِّ الفِ بُعْدِ
 هو مستَهْتَرٌ مَشَى على جِرائي
 وتَناسَى أمانةَ الزوجِ عندي
 لا بل القلبُ شُغِلَ بِمرادٍ هو شغلي من الحياة وقصدي
 ربِّ مالي أَحْسَنُ نَحْوِ مرادٍ
 شَقَقَا زائداً ولوعةً وجد
 وحناناً كأنه رقةُ العِشقِ جرى في دمي ولحمي وجلدي
 صدقَ الأولونَ الآنَ أدري
 كيفَ تجزى القلوبُ ودّاً بودَ
 كيفَ قلبي تجبُّه كيفَ تهواه
 بودي لو تستفيق بودي
 عبثاً أَمُرَ الفؤادَ وأنهى
 وسُدّي استردُّ عقلي ورُسدي
 كلُّ نصحٍ يُقالُ للقلبِ في التركِ
 وفي سلوكِ الهوى غيرُ مُجد

لَمْ لَا أَشْتَهَى مَرَادًا وَأَهْوَاهُ
وَمَالِي أَغَالِبُ الشَّوْقُ جُهْدِي
وَمَرَادُ الذِّ فِي الْعَيْنِ لِحَا
مِنْ سَنَا الصَّبْحِ بَعْدَ لَيْلَةٍ سَهْدِ
مَلَكٌ جَاءَ حَجَرَتِي يَشْرَحُ الْحَبَّ
أَفَى الْحَقُّ أَنْ يُجَازَى بِطَرْدِ
لَمْ لَمْ أَتَخَذَهُ فِي حَادِثِ الدَّهْرِ
نَصِيرًا يَرُدُّ عَنِّي التَّعْدِي
لَمْ لَمْ أَتَخَذَهُ بَعْدَ عَلِيٍّ
رُكْنُ دُنْيَايَ أَوْدَعَامَةٌ مَجْدِي
لَا وَرَبِّ الْحَلَالِ وَالْحَقِّ آمَالُ
أَرْجِي لِلصَّوَابِ آمَالِ جَدِّي
أَنْتِ مِنْ أُمَةٍ تَصُونُ حَيِّ الزَّوْجِ
وَتَقْضِي حَقَّ وَقْتِهِ وَتُؤَدِّي

رَبِّ لَا تَجْعَلِ الْعَلَاقَةَ إِلَّا
 مِنْ سَلَامٍ إِذَا التَّقِينَا وَرَدَّ
 رَبِّ إِنَّ الْبَلَاءَ مِنِّي قَرِيبٌ
 وَأَرَى حُفْرَةً وَأُخْشَى التَّرَدَّى
 رَبِّ لَا تَقْضِ أَنْ أُخُونَ عَلِيًّا
 وَأَعْنَى عَلَى الْوَفَاءِ بِمَهْدِي
 أَنَا حَيْرَى وَأَنْتَ تَهْدِي الْحَيَارَى
 كَيْفَ أَهْوَى عَلَى هَوَى الزَّوْجِ عِنْدِي
 مُسْتَرْه: لَا لَا رَوَيْدَكَ يَا آمَلُ لَا تَنْثِي؟
 عَلَى الْأَمِيرِ وَلَا تَجْزِيهِ طُغْيَانًا
 وَاحِى حَمَى اللَّيْثِ فِي أَيَّامِ غَيْبَتِهِ
 إِنْ اللَّبَاءَ تَحَوُّطُ الْغَابِ أَحْيَانًا
 هَيْبِهِ لَمْ يَخْلَعْ الدُّنْيَا عَلَيْكَ وَلَمْ
 يُكْبِسْكَ تَاجًا وَلَمْ يَنْزِلْكَ أَيُّوَانًا
 هَيْبِهِ لَمْ يَنْفَجِرْ قَبْلَ الزَّوْجِ وَلَا
 بَعْدَ الزَّوْجِ وَلَمْ يَنْهَلْ أَحْسَانًا

هببه سافر في شأن له جَلَلٍ
 يبني لدولته في الأرض أركاناً
 أما هو الزوجُ يُرعى حق غيبته
 وتجعل الحرّةُ الفضلى له شأناً
 لقد أقامك في محرابه ملكاً
 لا تجعلى الملكَ المهديّ شيطاناً

«ستار»

الفصل الثاني

في قلعة ضاهر العمر صاحب عكا

« فناء قليل الضوء مبنى من الحجر انقشرت المصاطب في جوانبه »
 « يطل من بعض جهاته على الميناء حيث يرسو الاسطول الروسى »
 « في ناحية من فناء الدار بعض الجند يتحدثون »

أحد الجند : سمعتم الرعد

آخر : سمعنا القعقة

ربكم هل فى السماء مسبعة

أم فى السماء وقعة ومعمه

الأول : كجبل من الرخام انشقاً

أو كالنحاس بالنحاس دقاً

الثانى : والبرق لحة القبس أو زفرة حرى النفس

أو كالدم القانى انبجس

شَقَّ الظَّلَامَ وَخَفَّقَ عَلَى مُلَائِقِ الْأَفُقِ
كَأَنَّهُ خَطَّ الشَّقِّ

حُبَيْش : ضَرَامُ

ضَرَامُ : مَاذَا يَا حُبَيْش ؟

حُبَيْش : الْعَمَى لَكَ الْعَمَى

الْبَرْدُ زَادَ

ضَرَامُ : صَا أَمَا فِي طَوْبَةِ نَحْنِ أَمَا

حُبَيْش : ضَرَامُ إِنِّي قَدْ حَسَدْتُ الْقَوْمَ فِي جَهَنَّمَ

ضَرَامُ : اصْعَدِ إِلَيْهِمْ إِنْ أَرَدْتَ

حُبَيْش : كَيْفَ ؟

ضَرَامُ : هَاكَ سَلَامًا

وَانْشُدْ حِمَاتِي بَيْنَهُمْ وَطَفَ بِهَا مُسْلِمًا

حُبَيْش لِلْمَلَأَط : مَلَأَطُ

مَلَأَطُ : لَبَيْكَ حُبَيْشُ

حُبَيْش : قُمْ أَخِي لَكَ الْعَطَبُ

ملاط : وما الذى أصنع يا حبيش

حبيش : جنباً بمحطب

ملاط : من أين ؟

حبيش : قم خذ كلما لاقت يداك من خشب

ملاط : كيف أجرُّ الساق والبردُ بأطرافي ذهبُ

كأننى ميتُ اليهود نزعَتْ منه الرُكْبُ

حبيش : يا لك برداً قارساً وزمهريراً لا ذعاً

لا الصوف فيه واقياً ولا الحريرُ نافعاً

ضرغام : ضرغام ما الصوف ما الحريرُ لا لا أعطنا برادعا

حبيش : انظر قفا صاحبنا كأنه بفُلٍّ ذبحُ

وانظر أهاتيك أنوفٌ فى الوجوه أم بلح

كان كل رجلٍ فى - أذنيه قسدٌ جرح

« تسمع فرقة »

- آخر : صوت ؟

ضرغام : أجل

الأول : ما الصوتُ ؟

ضرغام : تلك فرقة

الأول : وأين ؟

ضرغام : عند التركِ هل من موقعه ؟

« تسمع فرقة ثانية »

حبيش : وذاك ؟

الأول : مدفعٌ وتلك بُدَّة

الأول : اسمع

ضرغام : وما ذلك ؟

الأول : تلك طقطقه

أقدامُ خيلٍ في الفضاءِ مُطلقة

ملاط : ربي متى ينقضى البلاء

وتنقضى الحربُ والشتاء

جيش : ربى متى ننعم بالسلم متى
 كم ذا الى كم نحن حرب وشتا
 آخر : كم أنا كالفار شقى من خندق لخندق
 أصحو على المدفع أو على صفيح البندق
 جيش : قل لنا يا خراب ما هذه الحال متى تنتهى وأين المصير ؟
 قد سئمنا القتال واشتاقنا الزوج الى زوجها وحن الصغير
 وتركنا وراءنا الدور عز القمح فيها وقل فيها الشعير
 وبنو ضاهير شراهمو العتاب والشهد قوتهم والفطير
 آخر : كل حين يحى من مصر جيش
 ينزل القدس أو يحل الشاما
 وأمير يقاتل الترك فى مصر
 أنى شاهراً علينا الحسما
 نحن ما بين مصر والترك ضيعنا
 وسئمنا الحياة والأياما

غَنَمَ نَحْنُ بَيْنَ رَايَ وَذَبَّ
أَيُّ هَذَيْنِ جَاعَ كُنَا الطَعَامَا

آخر : وغداً ..

حيث : ماغد؟

الأول : بلاء عظيم

حيث وآخرون : كيف ما ذاك؟

الأول : اسألوا ضرغاما

ضرغام : العمى للرجال ما تُبْصِرُونَ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ تُشْبِهُ الْأَعْلَامَا

آخر : فُلْكَ مَنْ؟

ضرغام : فُلْكَ قِصْرِ الرُّوسِ فِي الْبَحْرِ تُصَبُّ الرَّدَى وَتَرْمِي الْحِمَامَا

قِطْعٌ مِنْ جَهَنَّمَ رَاسِيَاتٌ قَعْدُ الشَّرُّ حَوْلَهُنَّ وَقَامَا

وغداً يَنْزِلُ الْجُنُودُ فَيَحْتَلُونَ هَذِي الْقَلَاعَ وَالْأَجَامَا

ملاط : اذن فأهلاً بغيرٍ إن غداً قد اقترب

آخر : كيف وماذا في غدٍ؟

ملاط : فيه كرائمُ السلبِ

غداً نقوذ بالسلاحِ ولللباسِ القسْبُ

آخر : وما على الصدورِ من قلائدٍ ومن صُلبِ

وعادةِ الروسِ ينوءونَ بصلبانِ الذهبِ

« يدخل ضاهر المعر ومعه حسين المصري »

ضاهر : وكيف حالُ الدارِ

حسين : غابةِ الأسْلِ

أوهى وكر النسر في رأس الجبلِ

ضاهر : وسهرُ الدارِ على الضيفِ الأجلِ

حسين : تحفظه حفظ الجفونِ للمقلِّ

ضاهر : والشامِ كيف تجدد الشام ؟

حسين : نزلُ

حسين : يليق في جنة عدن للرُسلِ

أنهارها من لبنٍ ومن عسلِ لاشيء إلا في ذرا الشامِ كملِ

إِنْ تَحْمِلُ مِنْ شَيْءٍ فَمِنْ لَحْمِ الْحَمَلِ

ضاهر (ويصفق) :

غَضْبَانُ صَعْبُ يَا عَبُوسُ يَا نَكْدُ

لييك مولاي اقترح أشر تجذ

صعب وغضبان :

ضاهر : امضوا اجمعوا الحملان من سوق البلد

وقدموها للضيوف منذ غد

« ينسحب حسين والخادمان »

يدخل خادم ويقول :

مولاي

ضاهر : ما ذا زائر آخر ؟

الخادم : لاسيدي بل هذه زائرة

ضاهر : امرأة أنثى ؟

الخادم : أجل سیدی

ضاهر : وما اسمها

الخادم : لم ترض أن تذكره

ضاهر : هل صرحت من أين جاءت.
 الخادم : أجل من مصر مولاي من القاهرة
 ضاهر : وما سنّها ؟

الخادم : عادة في الصبا تُسبّهُها الزنبق الطيبا
 وقد لبست حُلّة للسفار

وشالا كوشى الضحى مُذهبا

تريد تقابل ضيف الأمير

ضاهر : تريدُ عليا إذن مرحبا
 لنفسه : آلهي أنثى لدارى سعتُ تريدُ عليا فما تطلبُ
 ترى امرأة هي أم حية تريدُ صديق أم عقربُ
 « يخرج ثم يمود بشمس »

شمس : سلامٌ لك مولاي

ضاهر : سلامٌ جارة الدار

فما أنت وما تبغين من ضيفي ومن جارى

شمس : رسولٌ أنا يا مولاي قد جئتُ بأخبار

جَرِي فِي مَصْرِ الدَّهْرِ بِأَحْوَالٍ وَأَقْدَارٍ

ضاهر : وما ذلك ؟

شمس : لَا أُعْطِيَ سِوَى مَوْلَايَ أَسْرَارِي

ضاهر : هِيَ تَقْلَمُ قَتَشَ السَّيِّدِ

« لِلخَادِمِ شمس : لَا سَيِّدِي يَحْسُنُ أَنْ تُبْعَدَ

مِنْ لَا يَمُدُّ الْوَحْشَ نَحْوِي يَدَهُ

الخادم ويتقدم نحوها :

مَا ضَرَّ لَوْ زَحْزَحْتَ الْفَادَةَ فَضْلَ الْبَرْقِ

شمس : مَا لَكَ يَا وَغْدَ وَالْبَرْقِ دَعُ عَنْكَ دِعِ

الخادم : عَمِّي لَكَ يَا عَمْرُ مَا ذِي غَدَائِرُ لَكِنَّهَا أَفْعَوَاتُ قَبِيعِ

وَتِلْكَ الْجَفُونُ سِلَاحٌ مَضَى وَسَهْمٌ أَصَابَ وَسِيفٌ قَطَعَ

وَفِي الصَّدْرِ غَدَارَةٌ هُنَا وَأُخْرَى إِلَى جَانِبَيْهَا تَقَعُ

وَهَذَا الْقَوَامُ كَرَمَحِ الْأَمِيرِ إِذَا اهْتَزَّ فِي كَفِّهِ أَوَّلًا

أَمِيرِي الْأَنْزَعُ مِنْهَا السِّلَاحُ « يَدْخُلُ عَلَى بَكَ

عَلَى بَكَ بَعْدَ أَنْ يَسْمَعَ : سِلَاحُ الْمَلَاةِ لَا يُنْتَزَعُ

« ينسل ضاهر »

على بك لشمس :

أهلاً بشمس بالرسول ومرحباً
 بنسيم مصرَ ونفحةَ الأجبابِ
 كيف الأُحبةُ شمس هاتى خبرى
 قد طال بُعدى عنهمو وغيايى
 كيف الديارُ وكيف قصرى هل تُرى
 تركَ القواصدُ والصنائعُ بابى
 أثرَهُمُ واقدردُم خدعى وقد
 وموائدى يا شمس كيف موائدى
 والطاعمون بها وكيف رحابى ؟

شمس : مولايَ طبَّ نفساً فبرك لم يزل
 يجرى وخيرك فى يدِ الطلابِ

على بك : والناسُ شمس ؟

شمس : مع الأمير قلوبهم لكن سيوفهم مع الكذاب

على بك م — •

الفرُّ والأمرأه حول ركابه

على بك : وكذلك كانوا أمس حول ركابي

والأزهر المعمور ؟

شمس : صاد محمد فيه الشيوخ وعاد بالطلاب

على بك : والشعب ؟

شمس : سال يا أمير كعده قد مال عن باب وقام بباب

والترك قد نصبوه بعدك هرة يتصيدون بظفرها والناب

على بك : والقصر كيف القصر كيف صديقتي

وشريكتي في شذتي ومصابي ؟

أرايت آمالا ؟ وكيف وجدتتها ؟

شمس : لم نفتق مولاي

على بك : منذ ذهابي ؟

شمس : عزمت علينا أن نقيم بقصرها

وتعطفنا وحننا على الأتراب

على بك : فوجدتها يا شمس

شمس : خيرَ عقيلةٍ وأجلَّ ربةٍ منزلٍ وحجابٍ
مَلَأَتْ مَكَانَكَ عِزَّةً وَمُهَابَةً

وَكَسَتْ حِمَاكَ جَلَالََةَ الْمَحْرَابِ
سَهَرَتْ عَلَى ذِكْرِى الْأَمِيرِ وَعَهْدِهِ

سَهَّرَ اللَّبَاءَ عَلَى حَرِيمِ الْغَابِ
لَوْ كُنْتَ أَمْسَ تَرَى رَأْيَ آيَةٍ

غَضَبِي نَحْمِيَّةٌ غِنِ الْأَحْسَابِ
عَلَى بَيْتِكَ : غَضَبِي ؟ وَمِمَّ وَمَا جَرَى مَارَاعَهَا ؟

شمس : مَنْ سَافَلَ مُتَهَاتٍ دَبَابِ
عَلَى بَيْتِكَ : مَا ذَاكَ شَمْسُ مِنْ الْوَقَاحِ

مَنْ الَّذِي ؟ نَقَلَ الْخُطَى بِمَنَازِلِ الْغِيَابِ

شمس لنفسها :

رَبَّاهُ مَاذَا قُلْتَ لِمَ خَبَّرْتُهُ

عَلَى بَيْتِكَ : قَوْلِي أُخْبِنِي

شمس لنفسها : رَبُّ كَيْفَ جَوَابِي

شمس لعل بك :

ذَنْبٌ فَلَا تَجْعَلْهُ شَغْلَكَ سِيدِي

إِنْ الْقَذَارَةُ شِيْمَةُ الْأَذْنَابِ

على بك : من ذاك شمس ؟

شمس : مراد

على بك : ويحى من الأتباع والأصحاب ويح لهولى

أَمْرًا دَيَّصْنَعُ ذَلِكَ مَاذَا غَرَّهَ
وَالزَّوْجُ شَمْسُ ؟

شمس : استعصمت فى دينها

وَرَمَتْ بِزَائِرِهَا وَرَاءَ الْبَابِ

على بك لنفسه :

يَا نَفْسُ قَدْ خَانَ مِنْ قَلْدَتِهِ يُقَتِّي

وَكَانَ حَوْلَى لَوَاءِ الصَّحْبِ وَالْآلِ

هَذَا أَبُو الْهَيْبِ اسْتَوْلَى عَلَى شَيْعَى

وَحَازَ دُونِي جَاهِي وَاحْتَوَى مَالِي

واليوم هذا مرادُ نالٍ من شرفي
 ما لا يَمُرُّ لأعدائي على بال

على بك لشمس :

تعالى نَجَلْ يا شمسُ في دارِ ضاهِرٍ
 تعالى نَرَى الجيشَ الحليفَ تعالى
 فنحنُ اقتسمنا الحصنَ ثمَّ عيالهُ
 على كثرةِ اللاجي وِثْمِ عيالي

« يدخل حسين من باب ويدخل سعيد من باب آخر »

سعيد : حسين هنا ؟

حسين : من أرى مَنْ سعيد ؟

سعيد : سلامٌ حُسَيْنَ

حسين : سلامٌ سعيدَ

سعيد : أأنتَ هنا لمْ تزلْ يا أخى تراقبُ في الشامِ حالَ الطريدِ ؟

حسين : وكيف اقتحمتِ فناءَ العرينِ

وجاوزتِ هذا الحصارَ الشديدَ ؟

سعيد : ببال بذلتُ هنا وهناك وباللّال يُعطى الفتى ما يُريد

حسين : متى جئتَ من مصر ؟

سعيد : هذا الصباح

حسين : ومن كان معك ؟

سعيد : بنّال البريد

حسين : وماذا بمصر من الحادثات ؟

وهل جدّ في أرض مصرٍ جديد

سعيد : حوادثُ مصرَ على حالها

وأمر القريبُ كأمر البعيد

حسين : وكيفَ محمد ؟

سعيد : خلّفته كما يشتهي وعلى ما يُريد

قبولٌ يُحرّقُ قلبَ الحسود ودنيا تفيضُ وشأنُ يزيد

لقد نزلَ الريفُ في راحتِهِ وحجّ إلى قديمه الصعيد

ترى الأمراء على بابهِ يقومون فيه قيامَ العبيد

واللقم ساء على دارهِ صباح مساء زحامٌ شديد

حسين : اذن قُضِيَ الأمرُ مصرُّ لنا :

سعيد : أجل ملكنا اليومَ فيها وطيدُ

حسين : وكُتِبَ سعيدُ أنجيءَ الأميرُ ؟

سعيد : أجل وهي موضعُ اعجابه

يُسِيرُ بها في أحاديثه وينشرُها بينَ أصحابه

ونحنُ كلانا على باله غداً نتلاقى على بابهِ

ونظّمَ أطيّبَ إحسانه ونلبسَ أسبغَ أثوابه

حسين : وما أتيتَ يا أخى تصنعُ في هذا البلد

سعيد : ذلك سرّي يا حسين لا يقالُ لأحد

حسين : حذارٍ أن تقولَ أو تفعلَ شيئاً يُنتقدُ

نحنُ بدارٍ ضاهرٍ دارِ العديّدِ والمعدّدِ

الجمع يقطنُ بها وإن ظننته رقدَ

وكلُّ جاسوسٍ هنا عليه عينٌ ورصدٌ

وقد تظُنُّ ضاهراً مبتعداً وما بعدُ

وضاهرٌ ليلَ نهارٍ في السلاحِ والزرّدِ

قد جعلَ الشامَ هي الغابَ وطافَ كالأسدِ
« ثم بعد فكرة سكون »

سعيد : حسين

حسين : ماذا يا سعيد قل سل
سعيد : أين تُرعى أصادفُ الآن على

« يقبل على بك »

حسين : سعيد أنظر التفت هذا الأميرُ مقبلاً

يمشي المويّنا ويُخَالُ الأسدَ المستمها

سعيد : حُسَيْنُ ماله انحنى ما باله ترهلاً
لأَمْشَيْنَ نَحْوَهُ

حسين : لا يا أخى بل ابق

سعيد : لا

حسين : إياك أن تقولَ ما يُغضبه أو تفعل

فهو مهيبٌ ههنا كالليث في جوزِ الفلا

سعيد : لا تخشَ لا أكون إلا محسناً ومُجَمَّلاً

ألم يكن أمير البلاد البجلاء

على بك سعيد :

من المرء من أين من أرض مصر ؟

فهذا اللباس لباس الوطن

سعيد : أجل ملكي من رعاياكمو

على بك : ومن مصر هذا اللسان الحسن

وما اسمك

سعيد لنفسه : ما هم اسمي ؟

و لعل بك : سعيد .

على بك : سعيد تذكرت من أنت من

سعيد لنفسه :

تذكرني عجب كيف ذاك ؟

ولم نجتمع مرة في الزمن

تراه بي ارتاب ظن الظنون

تراه لـ كلفوني فطن

على بك : وكيف تركت بمصرَ الأمور

سعيد : عواصفُ حولَ مراسي السفنِ

وجوُّ الأمور من الحادثاتِ كثيرُ الغيومِ كثيرُ الدُّجَنِ

على بك : وكيف تركتَ الأميرَ الجديدَ ؟

سعيد : سقيمُ الولاية نكدُ الزمنِ

على بك : ولِمَ يا فتى هل تولَّى الوليَّ

وخان من الشيعة المؤمنين

سعيد : أجل يا أميرُ ودبَّ الخلافُ

وثارت هنا وهناك الفتنُ

على بك : حديثك يا صاحبي لا يُساعِ

ولا تطمئن إليه الأذن

عساك تبالغ فيما تقول لعلك تخلق ما لم يكن

اذن لم يحن عهدى الأمراء ولم يقلب الترك ظهر المحن

ولم ينس أصحابي الفقهاء أياديَّ عندهم والمين

ولا الشعب ملء الأمير القديم
 ولا بالأمر الجديد افتتن
 بلغت المدى أيها الفتى رويداً تأن رويداً تأن
 فما نحن في فلات الحجاز ولا نحن في ربوات اليمن
 ولكن على الشام فوق الطريق

تمرُّ الركابُ بنا والسُّننُ
 وأخبارُ مصرَ وأحوالُها هنا سمرٌ للقرى والمدنُ

سعيد : وكتب الثقات إلى سيدي
 على بك : وما هي من أرسل الكتب من ؟

سعيد : كتابان من عمر الجركسي ومن حسن
 على بك : من ؟ صديق حسن ؟

كتابان من مصر من صاحبي ؟
 سعيد : أجل سيدي

على بك : سوف أغلي الثمن

وأيّن الكتابان ؟

سعيد : خذ سیدی

خذ النعش خذ من یدی الکفن

« وينقض عليه بخنجره فيقبض على بك على ساعده »

حسين لنفسه : أسفاه على سعيد فما أدري الى أين ينتهي أين يمسي

نحنُ سيان في البلاء وأيدٍ طلبتُ رأسه ستطلبُ رأسي

هو في قبضة الأميرين لم لا أتواري أنسلُ أنجو بنفسي

« ثم ينسل هاربا »

على بك : كيف ترى يا معتمدی لقد وقعت في یدی

يدخل ظاهر ويقول :

أتركه لي يا سیدی

أتركه لي فإنه في داری سطا بضيق وسطا بجاری

على بك : من ؟ ظاهر ؟ بالنفس أفدى ظاهرًا

أكنت معنا يا أميرُ حاضرًا

ظاهر : كنتُ عليك يا صديقي ساهرا

والآن أذهبُ يا أميرُ بصاحبي



خذ النعش خذ من يدَي الكفن

على بك : أتريدُ تذهبُ بالأثيم العادى

ضاهر : لِمَ لا وفى دارى وبين عشيرتى

شهرَ السلاحِ على أمير الوادى

دعنى أُحِلَّ به العقابَ وخلصنى

أمنع جِعى شرفى وحوضَ ودادى

سعيد فى ضراعة :

مولای

على بك : ما بكَ قلُّ

سعيد : بمصرَ وحقَّها

لا تلقِ رأسى فى يدِ الجلاذِ

مولایَ سيفُكَ بى أبرُ فسُلِّهْ

إن شئتَ فاقتلنى بسيفِ بلادى

ضاهر : حَسَنُ قمِ انهضْ يا بنى قمِ انطلقْ

فلقد طلبت الخیرَ عند جواد

أنا قد وهبتك للأمير وقد عفا

إن الأمير بكلِّ فضلٍ بادِ

على بك : الآن سعيد

سعيد : أميرى قل

على بك : تكلم ابن نبى من أمر

ومن بذل المال بى مغرياً وكيف أذاك جوارى السفر

تكلم ابن

سعيد : سيدى أعفى فلاخير فى أن يدبغ الخبر

على بك : قل السر لا تخفه لا تخف فسرُّك عند صديقى العمر

أليس محمد المجترى ؟ قل الصديق تأمن به كل شر

سعيد : مراد أشار بقتل الأمير وغير مراد به لم يشِر

على بك : مراده ؟

سعيد : أجل إنه المعتدى وما أنا إلا سلاح شهر

« على بك ملتفتاً بظاهر العبر »

سمعت أخى مايقول الغلام عدو من الأهل ثانٍ ظهر

إذا ما بغى الأهل والأقربون
فكيف من العالمين الحذر

« يخرج الظاهر فيتغيب لحظة ثم يعود فيقول »

ظاهر : أميري

على بك : مَنْ صاحبي ظاهر ؟

ظاهر : هنالك مولاي ضيفٌ حَصَرَ

على بك : وَمَنْ

ظاهر : قائد الروس في عكَّةٍ أيدخل مولاي أم ينتظر

على بك : أميرٌ على البحر ماذا يقود ؟

ظاهر : بوارج للروس مثل الجزر

على بك : وماذا ترى أنتَ مرني أشر

ظاهر : تلاقيه فهو جليلُ الخطر

على بك : ألاقيه ؟

ظاهر : لم لا وما في اللقاء إذا ما سمحتَ به من ضرر

« يصفق الشيخ ظاهر فيدخل القائد الرومي غاطاً برجال »

« الشيخ » ويخرج ظاهر وسعيد ورجال الشيخ »

القائد : التحياتُ للأُميرِ

على بك : تحياتُ وأهلاً بسيدي الربان

ادنُ خُذْ مجلساً بجنبى تفضل

القائد : عشتَ مولايَ مُوليَ الاحسانِ

نحنُ جارانِ يا أُميرُ ولكن نحنُ في منزلينِ مختلفانِ

أنتَ كالليثِ رابضاً في الصحارى

وأنا الحوتُ في العبابِ مكاني

على بك : غيرَ أنى مُقيّدٌ بخطوبٍ حبستَ همى وردتَ عنانى

القائد : لاتضقْ يا أُميرُ ذلكَ أسطولى جلالَ البحارِ نورَ الموانى

سُفنُ القيصرِ العظيمِ قصورُ لك إن شئتَ زُينتَ ومغانِ

على بك : أشكرُ القائدَ النبيلَ وإن لم يخفِ ما فى خطابه من معانِ

مستوراً :

أنا فى دارٍ ظاهرٍ وهى دارى مع أعوانه وهم أعوانى

أنا فى دارٍ مسلمٍ عُنْبِيّ مانعِ الجارِ مكرمِ الضيفانِ

أنا فى الدارِ أولُ مُنْذُ هاجرتُ إليها وصاحبُ الدارِ ثانِ

على بك م — ٦

القائد : سيدى ألقى ضاهراً وتقلد
 نجدة القيصر العظيم الشان
 لا ترومن بالعصا ملك مصر
 واطلب الملك بالحسام الجاني
 كيف تبغى سرير مصر بشيخ

بدوي بصارم وحصان
 على بك : بكريم من الرجال أبي
 عبقرى الوفاء والاحسان
 فزن القول يا نبيل وأمسك
 لا تنل ذكر صاحبي بهوان
 القائد : ما أهنئ الصديق مولاي لكن

قلت أحسن تخير الأعوان
 على بك : ليست النجدة البوارج كالأعلام
 تطوى اللجاج كالطوفان
 ليست النجدة الحديد ولا النار
 بأبدر المشاق والفرسان
 ليست النجدة اصطفاة العوالى
 والتفاف العروش والتيجان

ما النجدة الحق الآ صاحب دمه
 عند البلاء دمي أوماله مالى
 أخ قديم كعرق التبر خلت
 لم أَسْقَ من ودّه الا بسَلْسَالِ
 وعرضه عندى الغالى وان بعدت
 به الديار وعرضى عنده الغالى

القائد : كصاحب الدار ؟
 على بك : لم لا ضاهر رجل من الروءة لا عطل ولا خال
 « تقبل شمس »

القائد : والمُلكُ مولاي مُلك الضفتين
 على بك : أجل

المُلكُ يا قائد الأسطول آمالى
 القائد : إذن فتلك سفين القيصر اضطجعت

على فراسخ من عكا وأميال
 فاركب أميرى فيها واثت مضر غدا
 فى الدارين وفى الفولاذ والمال

لعلنا ندخلُ الوادى معاً وعسى
 على لوائك يغزو التركُ أبطالى
 على بك : نمضى فنفتحُ مصرأ ثم ندخلها
 أمنية الدهر تأتي لى وتسعى لى
 غداً احلُ بأعدائى العقابَ على
 ما استمرؤا أمسٍ من قهرى واذلالى
 « يدخل ضاهر »

على بك لنفسه :

رباهُ ماذا يقول المسلمون غداً
 إن خنتُ قومى وأعمامى وأخوالى
 يُقالُ فى مشرق الدنيا ومغربها
 فعلتُ فعلةً نذل وأبنِ أنذالِ
 « للقائد: أجل سموتُ الملكِ النيلِ أطلبه
 بهمتي وباقدامى وأفعالى
 لا أستعينُ على الأهل الغريبَ ولا
 أرمى الذئبابَ على غابى وأشبالى

القائد : مولاي تلك معانٍ تحتها كرمٌ
 لَيْسَتْ لِمَن طَلَبَ الدُّنْيَا بِأَشْغَالِ
 عَلَى بَكَ : بَعْدَ وَسُحْقًا لِعِلْيَاءِ الْأُمُورِ إِذَا
 لَمْ التَّمْسِهَا بِخُلُقٍ فَاضِلٍ عَالٍ
 الْمَوْتُ فِي ثَمَرٍ تَرَقَّى لِتَجْنِيهِ
 فِي سُلَمٍ مِنْ ثَعَابِينَ وَأَصْلَالِ
 القائد : إِذْنُ أَمِيرِي فَالْأَسْطُولُ مُنْتَظَرِي
 وَالْبَحْرُ يَسْأَلُ عَنْ شَأْنِ الْأَمِيرِ أَلِ
 عَلَى بَكَ بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ :

اذهب فما أنتَ دَارٍ مَاغْدٍ فَعَسَى
 يُغَيِّرُ اللَّهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ

« يَنْصَرِفُ الْقَائِدُ وَيُسَمِعُهُ ضَاهِرَ وَأَتْبَاعَهُ »

على بك لنفسه :

رَبَاهُ مَا بَالِي أَبْعَدَ مُحَمَّدٍ وَعَقُوقَهُ أَشَقَى بِكَيْدٍ مُرَادٍ
 أَنَا صَخْرَةُ الْوَادِي يُرَاوِحُ عَاصِفٌ
 رَكْنِي وَيَكْرُ عَاصِفٌ فَيَغَادِي

حَمَلْتُ كَوَاهِلِي الْخَطُوبَ كَمَا حَوَتْ
 هَوَجَ الرِّيحِ مَنَاصِبُ الْأَطْوَادِ
 وَلَقَدْ تَرَكْتُ وَرَائِي الْوَادِي وَمَا
 بِالضَّفَّتَيْنِ فَقِيَّ يَحُوطُ الْوَادِي
 لَمْ يَبْقَ فِي مِصْرٍ وَمِصْرُ عَزِيزَةٍ
 مِنْ قَائِلٍ هَذِي الْبِلَادُ بِلَادِي
 الذُّئْبُ يَرْتَعُ فِي الدِّيَارِ وَيَرْتَعِي
 وَالشَّعْبُ يَسْرَحُ كَالْقَطِيعِ الْهَادِي
 نَقَلَ الزَّمَانُ زِمَامَهُ وَرَمَى بِهِ
 مِنْ فَاتِحٍ بَاغٍ لِأَخَرٍ عَادِي
 وَيَحِي فَمَا وَقَفَ الرِّجَالُ كَمَوْفِي
 مِنْ ظَلَمِ أَحْبَابٍ وَكَيْدِ أَعَادِي
 فَهَنَّاكَ فِي فُسْطَاطِ مِصْرٍ مُحَمَّدٌ
 جَسَعُ الْعَدَاوَةِ لَا يَمَلُّ طَرَادِي
 حَتَّى حَوَى يَدِي مَوَاكِبَ دَوْلَتِي
 وَحَوَى بِأُخْرَى طَارْفِي وَتَلَادِي

مالى محمد الأثيمُ يَكِيدُ لى
 و مرادُ الباغى يدوس و سادى
 عجبُ العجائب مصرُ سارت ضيعةً
 لمحمد ورفاته الأوغادِ
 ذئبٌ أتى الأتراكُ فى الوادى به
 خلعوا عليه إمارةَ الآسادِ
 و بقيتُ فى أرضِ الشَّامِ مُشرداً
 حيرانٌ ليس لحيرتى من هادِ
 قد نمتُ عن حقى و تاركُ حقّه
 لاقى الخسارَ على الندامةِ غادِ
 مالى قعدتُ و تركيا مقهورةً
 و الروسُ حولى يخطبون و دادى
 أسطولهم يبدى و قائدهم معى
 سأصيبُ جُندى عنده و عتادى

لا يا عليُّ رويدَ في الغضبِ اتشد
 ما تلك خُطَّةُ حكمةٍ ورشاد
 ماذا جنتَ مصرُ عليَّ وأهلها
 إن الجنَّةَ عليَّ هم أولادي
 ما ضرَّ مصرُ وضرَّني إن لم تكن
 مهدي وكان بغيرها ميلادي
 بلدٌ رعاني في الصبا وأحلني
 ودخلته عبداً كيوسفَ مشترى
 فاعتصتُ تيجانا عن الأصفادِ
 لا يا عليُّ اسمعْ نهالكَ ولا تُصخ
 لوساوسِ الشهواتِ والاحتقادِ
 لا ترمِ بالروسِ الشدادِ جماعةً
 ضعفاءَ مهذولينَ غيرَ شجاراتِ
 لا تنسَ موضعَ مصرَ واذكرَ مالها
 من أنعمَ سلفتُ وبيضَ أياها

لا تنسَ ما ذا ألقتَ من سامرٍ

لك في الشبابِ وهيأت من نادٍ

شمس : أميري

على بك : شمس سمعت النجى ؟

شمس : أجل سيدي وعلمت الخبر

على بك : فما ذا ترى ؟

شمس : أرى الخطبُ جلّ وأنتَ عليه جليلُ الصبر

وما زدتُ علماً بحلم الأميرِ ولا خُلقه الأريحيّ العطر

دع الروس لا تنتصر بالفريب وبالله بالأقربين انتصر

على بك : وأين هو شمس ؟

شمس : هم في يدك وتحتَ لوائك مُرقل أشر

أصخ لسجايك فأنخيرُ فيك

على بك : وليس يُقابلُ إلا بشر

أبو الذهب الغرُّ بالترك لا ذ

وفي مصر في غدها ما افكر

وكم قد غزاهم على رأيتي وكم من سلاحٍ عليهم شهَرُ
وكنا خطَطْنَا انتِشالَ البلادِ

واقادها من عُتُوِّ التَّسْتَرِ

وأن نستقلَّ بِسلطانِها ونهضها في النواحي الأخرِ
شمس : تركتُ ورأى ما تبتغي من العون والمدد المنتظر
على بك : جموعٌ ؟

شمس : هناك على الصالحيةِ جمعُ كسربِ الجراداتِ تشرُ
وينتظرون ركابَ الأمير كمثلِ انتظارِ النباتِ المَطَرِ
« يعود ضاهر »

ضاهر : ضاهرٌ عند ظن مولاي فيه

على بك : مَنْ ؟ صديقي أخى حليفي ضاهر ؟
ضاهر : قد سمعتُ الذي جَرَى ولمستُ الفضلَ والنبلَ والسجايَا الطواهر

عزوتي سـيـدي ونفسي ومالي

في الذي شئتَ ما الذي أنتَ أمرُ

نحنُ ألفانِ يا أميري على الأرضِ

وَألفانِ في مُتونِ الضوايرِ

ومعى مدفعان من سلب الترك
وتل من السيوف البواتر
والمواشى كثيرة فى ضياعى
والطريق الطويل بالخير عامر
كل شىء كما تحب مهياً
ففى الظعن سيدى مر نساقر
على بك : غداً الظعن يا أخى قم تأهب
إنما الغنم للخياف البادر
ضاهر اسمع هناك فى مصر

ماذا ؟

ضاهر :

أهبة يا أخى وجيش مناصر
على بك :
من صحابى المشردين وأتباعى ومن كل حافظ العهد ذاكر
إن جمعنا إليه جيشك سرنا وأخذنا محمداً أخذ قادر
وانترعنا البلاد من قبضة
الترك ومن كل فاسق الحكم سادر

الفصل الثالث

« الوقت بعد الغروب — في سرادق محمد بك ابو الذهب بالصالحية »
 « حيث دارت رحى الحرب بينه وبين علي بك ، في الوجه محمد بك »
 « راقد على سرير وعثمان الجاسوس التركي يكبس قدميه ، في أحد »
 « جوانب السرادق جماعة من البكوات يتحدثون ويلعبون الشطرنج »
 « في الجانب الآخر خادمان مصريان مشغولان بتنظيف ملابس »
 « محمد بك ابو الذهب »

أحد الخادمين للآخر :

ولدى زعزوع أنصت أصغ للحق المبين
 نحن في أيام جهل وبلاء وجنون
 نحن فوضى من مراح الشاة للخدر المصون
 في زبون من حروب الأهل في إثر زبون
 ورؤس في الصواني نرعت منها العيون
 وعزير هات ما كان ببال أن يهون
 أصبح الناس على الوادي بلا دنيا ودين
 حركات كالسكون وحياة كالمنون

وقفَ الحماكمُ من كل رخيصٍ وثمين

مثلَ ما قد وقفَ الدائنُ من مالِ المدينِ

وشريكِ الشعبِ في كدِّ يديه والجبينِ

وشريكاً في الأواني وشريكاً في الصحنِ

الآخر : يا شيخُ هذا بلدُ أحماله بلا عددٍ

من سُلَفٍ وكُلَفٍ ومن نكوسٍ وفردٍ

وكلَّ يومٍ مطرٌ من الضرائب الجُدِّ

وتلدُ الفردةُ ما لا يعلمون من ولدٍ

على الحمارِ فردةٌ وفردةٌ على الوتدِ

وفردةٌ على الاجمام وهو جبلٌ من مَسَدٍ

وفردةٌ على برادع الحصير واللبسِ

مستمراً : يا شيخُ لي نعيمةٌ غرابي وكل همِّي كانا إليها

الأول : ما صنعت ما الذي دهاها

الثاني : قد ضربوا فردةً عليها

فضقتُ ذرعاً بذلك حتى ذبحتُ شاتي وطفيلتيها

الأول : ما قد دهاك دهانى
ومثلُ شأنِكِ شانى
أتيتُ بطنطا لشغلى
وكان تحتى أتانى
خرجتُ منها مع الليل
مُسبلاً طيلسانى
فرّ فوق طريقى
من لا أرى ويرانى
أغاً عليه سلاحُ
فى صورةِ الشيطانِ
فصاحَ بى قِفْ ترجُلْ
لقد سرقَت أتانى

الثانى : وما جرى ؟

الأول : قلتُ له
بل الأتان لى أنا
فقال ذاك أُميس
إلا أنّها اليوم لنا
بل هى لى وحدى فداء
ها لى وامِض من هنا
ثم رمانى يدي
كأنها كفّ النيرُ
ثم اعتلى ظهرَ الأتان

الثانى : ثم ؟

الأول :
لكن لم يسرْ
حقى سمعتُ هدةً
.. وصرخةً من النهرِ

وأبصرت عيني وراء الليل آية القدر
 حارق تجبرت مثل تجبر البشر
 فأغرقت راحيها وغرقت على الأثر

ميمش بك لعثمان بك : في تهكم واستهزاء

لقد رأيناك ضحى اليوم نجي من الجبل
 فوق حصان كالغزال رقةً وكالجمل

عثمان بك في غضب :

كذبتمو قد كانت تحتي سيد الخيل بطل
 لا تحل ولا غزال هو لكن الوعل
 كالأفعوان في الشعاب والشهاب في القل

ميمش بك : وقد تمايلت على السرج تمايل الثمل

وقد تدلى بطنك الضخم عليه وانسدل
 كأنتك المحمل والحصان تحتك الجم

عثمان بك : ميمش عبت حصاني ولم تدع لى اعتباراً

هذا جزاؤك عندي خذ هالك مني عياراً

« ويطلق عليه غدارته »

محمد بك : عثمان

عثمان بك : ملكي

محمد بك : لا تُرْعَ قد كان من حزب علي

كفيتنيه فتولَّ اليوم ما كان يلي

هيَّوا احملاوا جُثَّته هيو اذهبوا بالرجل

« يخرج به البكوات والخدم »

« عثمان الجاسوس وهو يكبس قدم محمد بك »

عثمان لنفسه : خدمته والله ما خدمتُ الا دولتي

كبسته والله ما كبستُ الا حاجتي

خادمُ تركيا أنا ما أنا خادمُ الفبي

كم من حريري في نواحي صُدرتي وذهب

هاتيك ألقائي وتلك شرطي ورُتبتي

مما بلغت في رضا الله وطاعة النبي

وتحت أعلام السلا طين السيوف القُضب

أقتُ في مصر سنين أنزوى وأختبي

علي بك م — ٧

وأنا حيناً ماهنٌ وأنا أحياناً صبي
أرمي أخاً على أخٍ وأصدم أبناً بأب
لم آلُ حكمَ الغزِّ جُهدَ الباحثِ المنقبِ

« يقيق محمد بك ويتمطى ويتناوب »

محمد بك : ماذا يقولونَ عنا في مصرَ يا عثمان
عثمان : عهد الأميرِ رخاءه وغبطةُ وأمان
فصرُ راضٍ بنوها والناسُ فيها لسانُ
يقول إن أميرى يحبه السلطانُ
محمد بك : والأمراءُ أمينهم مخالفٌ غضبانُ
عثمان : الأمراءُ جميعاً يبابكم أعوان
لا يذكرونَ عليا وبيتَه مذ بانوا
فما لغيرك صيتٌ ولا لغيرك شأنُ
محمد بك : صدقت هم حيث كان الجديدُ في مصرَ كانوا

« يقبل جندي ويقول لمحمد بك »

مولاي عندي أخبارٌ سوءٌ وقفنَ في رِيٍّ فهو حائرٌ

محمد بك : أنت رسول ؟

الجندي : أجل

محمد بك : فخبّر بينّ الامّ القتال صائر ؟

الرسول لا يسألون عما بعد المناعي ولا البشائر

الجندي : مولاي

محمد بك : ماذا عجلت تكلم

الجندي : دارت على جيشنا الدوائر

محمد بك : وما الذي كان من علي ؟

الجندي : أُعين في أمره بضاهر

محمد بك : وفاز ؟

الجندي : في أول التلاقي بقوة الشام والعشائر

محمد بك : إذن هلكنا ؟

جندي آخر وهو داخل : لا يا أميري بل أنت ناج بل أنت ظافر

محمد بك : من قال ذا ؟

الجندي : شاهدا عيان

- محمد بك : من أين بمن ؟
- الجندي : من العساكر
- « يدخل الجنديان ويقبهما خدم يحملون صنية كبيرة »
- الجندي : ها هما
- محمد بك : مرحباً
- الجنديان : عواف حياة
- محمد بك : أوجزاً
- الجنديان : نحن موجزات القتالا
- هزم الجيشُ صبحَ أمسٍ ولكن
- عادَ نجمُ العدوِّ ظهراً فالا
- فحملنا عليه حملةً صدقِ وحوينا الرجال والأموالا
- محمد بك لاحدهما :
- زِدْ أبْنِ
- الجندي : ما قصّر الجيشانِ ضرباً وِطعانا
- « يقبل البكوات »

محمد بك الجندي :

وابو مَيْلَة (١) ؟

الجندي : غشَّى ساحة الحرب دُخانًا

أحد البكوات :

قد رأينا من هنا ظلمته واللعنا

وسمعنا من هنا رجته والدوران

محمد بك : اخترع مدفعي قد ظهر اليوم وبانا

ومُرَاد؟

الجندي : كان كالليث لحاظًا وجنانا

شدَّ بالزارقة والوثبة في الحرب قوانا

كلما انهار حصانٌ تحته احتلَّ حصانا

محمد بك : ثم ؟

الجندي : رمى بنفسه على علي في الرحى

محمد بك : ثم ؟

الجندي : تجالَدَ فلم يدعه حتى جرحا

(١) مدفع من صنع واختراع محمد بك أبو الذهب

محمد بك : أين هو الآن

الجندي : على أثارنا على سريرٍ لَيْنٍ مُظْلَلٍ

يخدمه الناسُ ويُعنونَ به

كالولد المهد المدلل

محمد بك همساً لثمان :

عثمانُ هذا علَوِيٌّ لا تنسَ رأسه غداً

محمد بك للجندي :

وما على الصينيه من تحفٍ سنيه

تلك رؤوس شيعتي . ومن سعى لنصرتي . من يتيه وعزوتي

« يأخذ الجيش في المودة من ميدان القتال في أزياء شتى بين »

« الضجيج المتواصل من الطبل والزر ، وتقبل طائفة طائفة فيمر »

« بخيصة محمد بك ، وكلها طافت به جماعة خرج اليهم اليك فنثر »

« عليهم الذهب وهو يقول »

محمد بك : خذوا خذوا خذوا خذوا إني أنا أبو الذهب

خذوا املاؤا أيديكم من الشعاع المنسكب

الجماعة : سلعت يا أبا الذهب وعشتَ تُعطى وتهب

أخجل جودك السُّحْب

الجيش والنظارة يهتفون معاً :

بنى الوادى قفوا حيّوا اللواء
وغطوا الأرض ورداً والسماء
رَجَوْهُمْ من وراء الحربِ نصرًا

وهذا النصرُ بينَ يديه جاء
هو الرمزُ المُقدسُ فاتبعوه وموتوا فى القتالِ له فداء
عليه ضجةُ الفرحِ ابتهاجًا بطلعتِ الحبيبةُ واحتفاء
كأن وراء هيكلك خيالاً

من الشهداء والبحرَى تراءى .



على قدم	حيّوا العلمَ
حيّوا الشعار	حيّوا الفخار
رمزُ الوطن	مجدُ الديار

أحد القواد القادمين :

سيدى فُزتْ بالمنى هو ذا الجيش قد رجّع
وهبَ الله نصره للمريدين والتبع

وعلى وجهه شبت منها الضبع
 ليس يدري أمات أم في يد الجند قد وقع
 محمد بك : أجل أرى الجيش اقترب نسوان بالغ النر
 يرسل رنة الطرب

فريق من الجند يتفنون من خارج الحيمة :

سلمت يا أبا الذهب وعشت تعطى وتهب
 أخجل جودك السحب

جماعة أخرى من الجيش والنظارة يهتفون

يا عسكر النيل بالسلامه يا عسكر النيل بالسلامه
 ظفرت بالنصر كل حين وفزت بالعز والكرامه
 في يوم سلم وفي قتال وفي رحيل وفي إقامة
 فما شهدت القتال إلا رفعت للضفتين هامه
 ألبيتموا قادة وجندا بورك في الجند والزعامه
 قد شيد الله مجد مصر والجيش من مجدها الدعامه

عة آخرون :

هلمَّ خيلَ الوطنِ تخايلى فى الرسنِ
اليوم أنتِ مطلقه حممةً وطقطه

- بك ابو الذهب وينثر الذهب :

خذوا خذوا خذوا خذوا إني أنا أبو الذهب
خذوا املاؤا أيديكم من الشعاع المنسكبُ
الجماعة : سلمت يا أبا الذهب وعشتَ تعطى وتهبُ
أخجل ———— جودك السحب

مد البكوات :

ملكى

محدثك : ما جرى

الأول : تأمل أسيرُ

سيدى من عواهل الشام كهلُ

محدثك : من يسوق الرجال ضاهر الشامى

عانِ عليه قيدٌ وغُلُ

« يدخل ضاهر يحوطه الجند »

محدثك : ويحهم ذاك ضاهرُ ما لجندى
قد غَوَوْا مالمقادة الجند ضلّوا
كثُر الجندُ في الحديد عليه
وهو كالليث في الحديد يُدِلُّ
» ويتقدم منه :

ما أرى ضاهرُ يُساقُ أسيرًا
أنتَ من ذاك يا أميرُ أجلُ
أيها الجندُ ضاهرُ صار لي ضيفًا
فخلوا سبيلَ ضيفيَ خلّوا
من فلسطينَ أنتَ ضاهرُ أم من أرض لبنان أم لك الشام أصلُ
ضاهر . كل هذا هناك مولاي أصل
واحدُ يجمعُ الرجالَ وفصلُ
عَرَبٌ كُلُّنا ومنطقنا الفُصحى
وَأَبَاؤُنَا زَرَارٌ وَدُهْلُ

محمد بك الجند :

ما صنعتُم بسيفه ؟

احدا الجند : هو عندي

محمد بك : هاته فهو محرمٌ لا يحلُّ

ويناوله السيف :

خذت قلداً والله ليس لهذا الظفر
أنتَ خلٌّ للبائسينَ وفيَّ وهو أيضاً لهم صديقٌ وخالٌّ
ظاهر . لستُ أنسى لسيدى الفضلَ ما عشتُ

محمد بك . وهل في رعاية الحق فضل

قد رددنا على السمومِ سيفاً

كان دونَ الوفاءِ أمسٍ يُسلُّ

ظاهر . كيف أمشى في الشامِ أوفى سواها

ألَبَسُ العزَّ حينَ جارى يَدِلُّ

ذاك سيفي فأينَ أكرامُ ضيفي

مالى اليومَ غيرَ ضيفي شغلُ

محمد بك : مَنْ عَلَى ؟

ضاهر : أَجَلٌ وَمَنْ كَعَلَى مَلِكٌ مَالَهُ عَلَى الْأَرْضِ مِثْلُ

سَيْدِي قِيلَ فِي خِلَالِكَ بَرٌّ

لَيْسَ يُحْصَى وَفِي سَجَايَاكَ نُبْلُ

قَدْ تَرَكْتُ الْأَمِيرَ فِي شِدَّةِ الْكَرْبِ وَغَادَرْتُ جَعْنًا وَهُوَ فُلٌ

مَا الَّذِي أَنْتَ صَانَعٌ بِهِ ؟

محمد بك : غَايَةُ الْخَيْرِ فَهُوَ لِلْخَيْرِ أَهْلُ

هُوَ فِي قَصْرِهِ كَأَمْسِ الْفَدَى

بَيْنَ أَوْلَادِهِ الْأَمِيرُ الْأَجَلُ

ضاهر : أَسْرُونِي وَلَوْ بِقَيْتٍ طَلِيقًا

محمد بك : مَا الَّذِي كُنْتَ صَانِعًا

ضاهر : كُنْتَ تَبْلُو

كَيْفَ ابْنِي اللِّوَاءَ حَوْلَ حَلِيفِي

وَأَرْمُ الصَّفُوفَ إِذْ تَضْمَحِلُّ

محمد بك . بل ستبقى بمصر ضيفاً علينا
مصرُ دارٌ للأكرمين وأهل

ضاهر : ورجالي

محمد بك : سيلحقونك فيها لك عندى وللعشيرة نُزلُ
ضاهر لنفسه :

ذلك القدرُ والماليك فيهم

من قديم الزمانِ غدرُ وختلُ

« يشير محمد بك الى جماعة من رجاله فيخرجون بظاهر »

« يقبل مراد بك في جماعة من الجند »

محمد بك : ما أرى ؟ ما ترون ؟

أحد الحاضرين : هذا مرادُ

محمد بك : هو ذا جرّ ذيله إدلالاً

مراد بك : التحياتُ للأُمير

محمد بك : مرحباً مرحباً تعالَ تعالاَ مرادُ

مراد بك : ألفَ بشرى مولاي

محمد بك : أهلاً وسهلاً أدنُ منى أعانق الرُبالا

« يماقه »

مراد بك : قد بلغت الآمال

محمد بك : لم لا وما علقتُ الا بسيفك الآمالا

كيف كان القتالُ ؟ أين ؟ تركت الجيش

مراد بك : خافي مُظفرًا مختالا

بعد حينٍ يَمرُّ من ههنا الجيشُ على سيدى رِعالا رِعالا

محمد بك : وعلى ؟

مراد بك : تركته في يدِ الأسينَ قد ناءَ بالجراح ثقالا

بعد حينٍ يأتى به الجُندُ محمولاً مُسجى إذا استطاع انتقالا

« جماعة من الجند يتفنون خارج السرادق »

سلمت يا أبا الذهب وعشت تُعطى وتهب

أُخجلَ جودك السُحُب

« يخرج محمد بك في جماعته لتحياتهم »

« في هذه الاثناء يتقدم مصطفى اليسرجى جريماً من مراد بك زاحفاً على الارض »

مراد بك : يا لعجائب الحياة ما أرى هذا اليسرجى

مصطفى اليسرجى : مصطفى اليسرجى

- مرادبك: أنتَ الذي برزتَ لى من ساعةٍ
مصطفى: أجل لألقى من حُسامِكَ الردى
- مرادبك: لقد جُرحتَ من يدي لِمَ لِمَ تَمُتُ
مصطفى: إني أحسُّ أجلى الآن دنا
- مولاي لا تقطع حديثي وانتظرُ
عجائبُ الحياةِ فوقَ ما تَرى
- مرادبك: وهل عجائبُ الحياةِ غيرَ ما يجرى هنا الآن ؟
مصطفى: أجل وما جرى
- مرادبك: فَمُتْ إذن وأَعفِنِي
مصطفى: لا بل أقمْ
- واسمع فقد يُنجيك ما أروى هنا
مرادبك: سرٌّ ؟
- مصطفى: أجل وقد ينالك الأذى
من أن أموت أنا والسرُّ معاً
- مرادبك: إذن فقم إبقِ تأخر ساعةً
قل مالدَيْكَ ثم مُت كيف تشاء

مصطفى : أهكذا ربّاك جافٍ خَسِنٌ
 من المماليكِ مُضِيعُ الوفا
 ليتك عشتَ راعياً في وطنٍ
 مُهذَّبِ الفتيّةِ صالحِ النِّسّا
 مراد بك : دَعُ الفضولَ واحترسْ يا مصطفى

أنتَ غيٌّ لستَ تدري من أنا
 أما كفاك أمسٍ أن أخترتني
 أنا وقد متّ عليّاً فاشتري
 مصطفى : أنتَ تُحبُّها ؟

مراد بك : أجل
 مصطفى : أنتَ ؟
 مراد بك : أجل

مصطفى : حذارٍ يا مرادُ من هذا الهوى
 مراد بك مضطرباً :

ولم ؟ وما آمالُ ؟ أهى من ديمى ؟ أم هى لحي
 مصطفى : هى والله هما

مراد بك : أختي ؟
 مصطفى : أجل أختك
 مراد بك : من هول ما كنت عليه مقدماً

مصطفى : مرادُ أنتَ في صعيدٍ واحدٍ
ضربتَ بالسيفِ المُربِّي والأبَا
مرادبك : ومن أبوها وأبي أنت؟

مصطفى : أجل أنا الذى باعَ الفتاةَ والفتى
أنا الشقيُّ بائعُ ابنه
مرادبك : أبى ما بعنا الالندركَ الغنى
مصطفى : مرادُ أدركني
مرادبك : فداك يا أبى

رُوحى وإن قلتَ لك الروحُ فدى
مصطفى : انظر مرادُ أنا فى النزاعِ وما يُعنى المُفدُون إذا النزاعُ أتى
سُقتُ لك الرقَّ وسقتَ الموتَ لى
والرقُّ والموتُ على حَدِّ سَوا
مرادبك : أعفُ أبى عني أتعفو يا أبى ؟

مصطفى : القلبُ عنك وعن السيفِ عفاً
بل اعفُ أنتَ يا مراد عن أب

بائعُ طفلاً كبدية الدُمى

مارِجَمَ الدَّمْعَ بَيْنِيكَ وَلَا رَقَّ لَكَ الْبُكْيُ وَلَا رَثَى
 مراد بك: وآ اسفنى وآ اندمى أبى عليك هل غمى
 أفق أبى تكلم
 مصطفى: مرادُ لا يقوى فمى
 « ويعوت مصطفى »

مراد بك: ملّت انتهى ربّ ارحم

« مراد بك يلقى عليه عباءته ويركع باكياً »
 تدخل آمال فيلحمها مراد بك ويقول لنفسه :

آمال اختيا أجل أجل هيا
 لأ كفيها تلك الضواريا

آمال لنفسها :

ماله مضطرباً يرمعني بالرضا حيناً وحيناً بالفضب
 ما به ؟

مراد بك: آمال

آمال : مهلا سيدى ادعنى حين تُنادى باللقب

مراد بك: اسمي آملُ أختي

آمال لنفسها : أخته ؟

رد، من أين متى هذا النسب

ثم لمراد بك :

كيف من نباك

مراد بك: نبائي أي أننا يا أخت من أم وأب

آمال : وأبي؟ أين أبي؟

مراد بك: أين مضى ؟ هو هذا جثة

آمال : مات أبي

مراد بك: احملي الجثة يا أختي معي هي نمجبتها هلم نمجّب

آمال بعد أن تفت ألام الجنة وتتألمها :

حنانك ربّي أبي رمة يور عليها التراب الخشن

أبي كيف صرت وراء التراب

إلى جسدٍ بالبلي مرتهن

أبي ما لأذنك قد أبطأت وكنت إلى سريع الأذن

ومابالْ حطَى منك الصدود وكان نصيبى اللقاء الحسن
وأين يدُ سمحة طالما مسحتَ بها عبراتِ الهُتُن
أحقُّ أبى دهيمتك المنون

أجل وجرتْ فيك كبرى السنن
ذهبتْ كما ذهب الأولون قتيل الحياة جريح الزمن
مراد أخى

مراد بك: أختُ لا تحزنى فماذا يرُدُّ البكا والحزنُ
آمال : أحمقُ أخى انه قد قضى وأنا فقدنا الذرا والرُكنُ
قضى فى معارك لم يجنِها

غريب التراب غريب الوطن

ثم مخاطبة الجنة :

تمنيت أنى أفيك الردى بنفسى ومن يدفع الموتَ من
وأجعل غسلك ماء الشئون

وأصنعُ من هُذب عيني الكفن
واختط بين حنايا الضلوع صيوانا ولحداً لهذا البدن

جُعِلْتُ الْفِدَا لَكَ مِمَّا دَهَاكَ
وَلَيْتَ جِرَاحُكَ بِي يَا أَبِي

مراد بك: رويدك أخْتُ أَقْلَى الشَّجَنِ
ولا تُكْثِرِي حَسْرَاتِ الصَّدِيقِ

ولا تُشْمِئِي الْكَاشِحَ الْمُضْطَغِنُ
آمال : وكيف مرادُ وهذا أبوكَ لَقِيَ فِي التَّرَابِ كَأَن لَمْ يَكُنْ
« يخرج مراد بك وآمال بالجنة »
« يؤثي بمل بك مجروحاً محمولا على مرير من جريد فيوضع في ناحية من الساحة »
على بك لنفسه :

وَيَحْيَى تَفَرَّقَ عَسْكَرِي وَخِيَامِي
وَطَوَى الزَّمَانَ وَرَيْبُهُ أَعْلَامِي
أَحْتَالُ وَالْأَحْدَاثُ تُقْسِدُ حِيلَتِي
وَأَرْوْمُ وَالْأَيَّامُ دُونَ مَرَامِي
لِمَا طَوَتْ مُلْكَ الْكِنَانَةِ رَاحَتِي
لَمْ يَكْفِنِي فَطَلَبْتُ مُلْكَ الشَّامِ

صَيَّرْتُ حَرْبَ التُّرْكِ وَجَهَ سِيَاسَتِي
حَتَّى افْتَنَيْتُ عَدَاوَةَ الْأَقْوَامِ
وَكَفَرْتُ أَحْسَانَ الَّذِينَ خَدَمْتُهُمْ
حَتَّى تَجَرَّأُ خَادِمِي وَغُلَامِي
فِي الصَّالِحِيَّةِ مَالٌ صَرَحُ مَطَامِعِي
وَكَذَلِكَ رَكْنُ بَنَائِهِ الْأَوْهَامِ
النَّصْرُ غَابَ وَكَانَ طَافَ بِرَأْيِي
حِينَ وَحَامَ عَلَى شَبَابِ حَسَامِي
وَحُمِلْتُ فِي سُرُرِ الْجَرِيدِ بِلَدَةٍ
وَطُنْتُ جَوَاهِرَ عَرْشِهَا أَقْدَامِي
قَدْ عَشْتُ بِالدُّنْيَا الْعَرِيضَةِ هَالِمًا
حَتَّى انْتَبَهْتُ فَلَمْ أَجِدْ أَحْلَامِي
دُنْيَا أُرَدْتُ مِنَ الْعُرُوشِ حُطَامَهَا
جَعَلْتُ سَرِيرَ الْقَشِّ كُلِّ حُطَامِي

بالأُمس جَلَلَتِ الترابَ مواكبي

واليومَ لا خلفي ولا قدامي

اليومُ أُرْسِفُ في دمي وجراحتي

وغداً أُجرُّ منيتي وحمامي

أنا قد جعلتُ الغُرَّ مهبطاً نعتي

وخصَّصْتُهم بمنازلِ الأكرام

فلُدغْتُ من صِلَينِ منهم عقبي

هذا وذاك أضاعَ حقَّ زمامي

وتتابعُ الأُمراءُ في أثرِهما

يستمرُّونَ عداوتي وخصامي

يقبل محمد بك أبو الذهب في حاشيته :

محمد بك أبو الذهب :

يا ويحَ لي ماذا أرى هذا أبي وسيدي

سـيـعـلـمُ المَغْرَى به كيفَ عقابي في غدٍ

ويتظاهر بالأسف ويتقدم للملاقاة الجريح :

محمد بك ابو الذهب :

يا أسفا على عليّ يا أسفا على أبي وسيدى وموئلى

يا أسفا على الكريم المفضل

أحد البكوات همساً :

ماذا يقول ؟ سيّده شلت يده شلت يده

على بك لحمد بك :

محمد اسمع مراد غادر

اقض عليه وأنت قادر

محمد بك : لا بل تعيش سيدى ويسديك تقتله

محمد بك : سيدى انس اليوم وافكر فى غد

على بك : ليس للمغلوب غير النك غد

محمد بك : بل غداً تبرأ من جرحك

على بك : لا قلما قام من الجرح الأسد

أحد الحاضرين همساً لآخر :

الذئب جرب فى الربى ظفروه فأصابه

لا تحو دارك أرقما حتى تحطم نابه

على بك لمحمد بك :

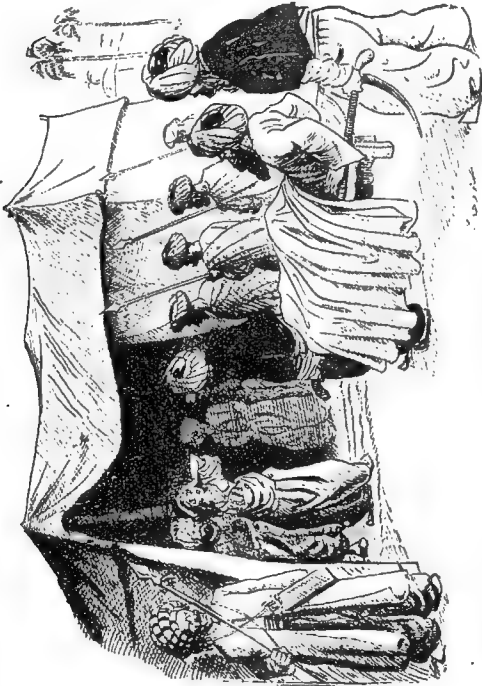
محمد اطلب لي قليل ماء
إني أحس حُرقة الظمآن
محمد بك : مولاي لا بأس
فداؤك الناس
محمد بك لعمان ويتاوله حقاً :

عثمان جئ بالشراب
أعشبه بالعناب
على بك : عجل وأطفئ لهيب
أسرع وخفف عذابي
« يذهب عثمان ثم يعود بالماء »
على بك لمحمد بك ويتأمل الكأس :

أغریت في الصبح بي عقوراً
ما أنا من جرحه بصاح
والآن أرسلت كلب سوء
يدس لي السم في القراح
وهكذا تجرح الأفاعي
وتفرغ السم في الجراح
على بك لعمان :

عثمان ما دسست لي في الكاس
عشب القفار أم تراب المس
السم أحياناً طيب آس

« ويشرب »



وَحُمِلْتُ فِي سُرُرِ الْجَرِيدِ بِلَدَةٍ وَطُتْ جَوَاهِرَ عَرْشِهَا أَقْدَامِي

محمد بك لعل بك :

أبى وأميرى كفى سوء ظنّ
محمد نلّ كلّ ما شئت منّي
ومالى ألوئك والبسمُ فني
أخذت الخيانة والفدر عني

« محمد بك يعتمد في حاشيته فيخلط بالامراء الآخرين »

على بك وقد لمح آمال ومراد بك قادمين :

أرى ويحّ لى ماذا أرى ؟

توالّت جراحاتى وطالّ عذابى

مراد وآمال . عدوى وزوجنى

فيا زمنى هل من جديد مُصاب

يُعدّنى يا رب أنى أراها

قد اختلطا من جيئة وذهاب

إذن هى تهوى النذل وهو يُحبّها .

إذن ليس ما خبرته بكذاب

إذن فرادى لم يثب بى وحده

ولم يفتحهم سترى ويسط بيابى
ولكن أعارته الخبيثة نابها وما فى ذراها من قيع لعاب
أجل هذما عشى معاً وتعاوننا

على ثلهم محرابى وهتك حجابى

آمال لنفسها :

الهى أعن زوجى وبلى جراحه

فما باله مستوفزاً لعتابى
رمانى بعين قلبت عن كراهة

وعن نظرات كالشرار غضاب
ترى ظن بى سوءاً ترى ارتاب فى أخى

ففكر فى جرمى وكيف عقابى
له العذر فى حال أضاعت صوابه

فانى أنا الأخرى أضعت صوابى

وتتقدم من علي بك :

سيدى مولاي

علي بك : مَنْ ؟ أَنْتَ ؟

آمال : أَجَل

علي بك : أُعْزِبِي عَنِّي خَلِّينِي أُعْزِبِي

الْأَقَاوِيلُ إِذْنُ صَادِقَةٌ الرَوَايَاتُ إِذْنُ لَمْ تَكْذِبِ

آمال : مَا أَذَاعُوا سَيْدِي مَا تَقْلُوا ؟

علي بك : خُـبِّرُونِي أَمْرَاتِي تَعَبْتُ بِي

آمال : مَعَ مَنْ أَعْبْتُ مَعَ هَذَا الْفَتَى ؟

مَعَ شَقِيقَتِي وَابْنِ أُمِّي وَأَبِي

علي بك لمراد بك :

مرادُ

مراد بك : مَوْلَايَ

علي بك : اَعْزُبِ لَا يَلِ تَعَالَ اقْتَرِبِ

مراد بك : أَنِي

علي بك : سَوَّالٌ يَافَتَى أَصْغَرَ إِلَى أَجِبِ

مرادُ كُنْتَ لَا تَرَى غَيْرِي فَا غَرَّكَ بِي

أَنْتَ الَّذِي اشْتَرَيْتَهُ بَفَضَّتِي وَذَهَبِي
وَلَمْ أَقْصِرْ مَعَهُ عَنْ وَاجِبِ الْمُؤَدَّبِ
مَوْلَايَ خَلَّنِي إِلَى ضَمِيرِي الْمُعَذَّبِ
أَعْفُ فَأَنْتَ أَهْلُهُ هَبْ لِي جِرَائِمِي هَبْ

على بك : مرادُ

مراد بك : مرُ

على بك : أَوْصِيكَ خَيْرًا بِالْمَلَاكِ الطَّيِّبِ
أَمَّا تَرَاهَا أَصْبَحَتْ مِنْ غَيْرِ زَوْجٍ وَأَبٍ

ثُمَّ مَسْتَمِرًّا : مَرَادُ بَنِي أَصْبَحَ أَضْيَغُ لِي تَعْلَمُ مِنَ النَّاهِبِينَ اسْتَفْدَ
مَرَادُ بَك : تَكَلَّمَ أَبِي هَاتِ قُلْ سَيِّدِي وَبَيَّنَّ كِدَ أَبِكَ سُبُلَ الرُّشْدِ
عَلَى بَك : بَنَاءُ الْمَالِيكِ وَاهِيَ الْإِسَاسُ وَسُلْطَانُهُمْ مُضْمَحَلُّ الْعَمْدِ

وَضِيعَتُهُمْ بَعْدَ طَوْلِ الْآبَاءِ عَوَى الذَّنْبِ فِيهَا وَصَاحَ الْأَسَدُ

إِذَا فَسَدَ الْخُلُقُ فِي أُمَّةٍ فَقُلْ كُلُّ شَيْءٍ لَهُمْ قَدْ فَسَدَ

وَصَاحِبُكُمْ ذَهَبَتْ نَفْسُهُ فَكُلُّ عَنَائِيهِ بِالْجَسَدِ

يُحِبُّ النِّسَاءَ وَيَهْوِي الطَّعَامَ وَيَبْنِي الْقُصُورَ وَيُغْنِي الْوَلَدُ

بِفَضْلِ التَّعَاوُنِ سُدْنَا الْبِلَادَ وَلَوْلَا تَعَاوُنُنَا لَمْ نَسُدْ

اذا قام بان الى غاية
 وأولع بالعُصبة العاملين
 فلم يَر واحدُهم همة
 يميناً مرادُ لما في البلاد
 يَلُمُّ المالك من فرقة
 ويرجع للطاعة المارقين
 قَبِيبٌ بالغبي غداً يَبُ به
 تعثر بالهادم المجتهد
 رجال كسالى مُنَوَّ بالحسد
 وفضلاً لآخر الاحقد
 سواك يليقُ لحكم البلد
 ويوقظُ من حزمهم مارقذ
 ويكسرُ من شرقة السبند
 وقم أنت فاحم الحمى بعد غد
 « وبنى عليه »

مراد بك : ويح للمجد حلّ بالمجد المو

ت وأخني على الكريم الحام
 رحمته له مضى وتولى واستردت جماها الأيام
 آمال : مات لا يا مرادُ قل هو حي

قل أخى تلك ضجعة ومنام
 فرحى يا على ما أنت راء
 فرحى مثل يوم نحر عليه
 ضجت الحادثات فيه بكبش

فجع الشرق فيه والاسلام

قدأصبنا من العيونِ كلانا أدركتني وأدركتك السهامُ
أحد البكوات لآخر:

أرايُ أسمعُ جرأةً تلك يا ويحٍ مرادٍ ويحٍ له
ماله استهتر في موقفه ومضى يفعلُ فعلَ السفله
انظروا فهو عليها مُقبلٌ وهي بالسمع اليه مُقبله
تركا المقتولَ لم يكثرنا لدمٍ من حوله قد جلَّله
أثرى يطعم أن يحلفه وهي هل تطلبُ زوجاً بدله
آمال وتشتت حولها :

مرادُ أخى

مراد بك: لبيك آمالُ
آمال : مالنا رمتنا عيونُ القومِ من كلِّ جانبٍ

وإني لشكلى مرَّتينِ وما دروا
تولَّى أبى غنىٍّ ولم يبق صاحبى
مراد بك : كذاك فضولُ الناسُ شغلٌ بحاضرٍ

كما قد شغلناهم وشغلٌ بغائبٍ
ومن السنُّ تجرى بسوءٍ وهمها
فوائدُ عند الغيرِ أو فى مصائبٍ

آمال : صدقتَ مرادُ انظر تأمل فضولهم

لقد رمقونا بالعيونِ الشواغبِ

يَرَوْنَ عَجِيْبًا أَنَّنَا ههنا معًا

وَأَنْتَ تَمْشِي يَا أَمِيرُ بِجَانِبِي

احد البكوات يتقدم :

مرادُ من الحسناه

ما أَنْتَ ما الذى

مراد بك :

يَهْمُكَ من أمرِ الحِسانِ الكواعبِ

« ثم لآمال :

أَأَبْصَرْتُ يَا أُخْتُ الْفُضُولَى »

أُخْتُه عَجِيْبٌ فَلَمْ نَعْلَمْ لَهُ مِنْ أَقَارِبِ

البك لنفسه :

« لمراد بك وأينَ تَرُصِي كَانتَ وَمِنْ ذَا أَتَى بِهَا ؟ »

رَوَايَةٌ غَاوٍ أَوْ مَقَالَةٌ كَاذِبِ

« مراد بك ييم ويلطمه بيده لطمه شديده »

آمال لمراد بك :

تَرْفُقُ أَخِي سَاحِدُهُ

اذن لم يكن فيما رواه بلاعب

تدعوه يا أخى

البك لنفسه :

على بك م - ٩

مراد بك: تعلّم إذن أن الفضولَ وقاحةٌ

وأن عقابي عنك ليسَ بعاذبٍ
البك : وأنتَ تعلّم أن سيفي منيةٌ وخدامتي محشوةٌ بالمعاطبِ
مراد بك: وقوسك

البك : قوسي ليسَ يُخطئُ سهمها
مراد بك: ورمحك

البك : مثلُ الافعوانِ الموائبِ
مراد بك: وقلبك إني لا أرى القلبَ حاضرًا على أنه أمضى سلاحَ المحاربِ
وإلا فذا صدرى فضع فيه ما تشاء

وسدد إليه ماضياتِ المضاربِ
البك : وكيف اجترأتِ سيدى وابنَ سيدى

معاذًا أياديكم معاذ الموابِ
مراد بك: إذن خلُّ شأنينَا ولا تشتغلِ بنا

وِطرفي فضاء الأرض ذاتِ المناكبِ
آمال : مرادُ أخى

مراد بك: آمالُ هذا محمد

بلاحظنا فى الجمعِ لحظَ المراقبِ

ولا بدّ من إنبذه بالذی جرّی

آمال : وما ضرّ سرّ قابله کلمه خاطب

محمد بك بقرب ويقول :

مراد أرى شغباً واسمع ضجة

بني أهذا موضع للتصاحب

ونحن على موتٍ وحولٍ جنازة

وفي ماتمّ فخم وشيك الواكب

مراد .

مراد بك : أمیری

محمد بك : تلك والله ريبة

مراد بك : تفضل أمیری واستمع ثم عاتب

محمد بك : أما هذه عرس الكبير فما أتى بها ههنا من ازدحام المناكب

مراد بك : بلى يا أمیری وهي أختی

محمد بك : أخته حنانيك ربّ تلك احدى العجائب

مراد بك : أجل سيدی أختی اجتمعنا من النوى

على قدرو من صنعة الله غالب

- ولم ندر قبلَ اليومَ أنا قرابةً
وأنا التقينا في كريم المناصبِ
- محمد بك : ومن قال للصنوينِ هذا
مراد بك : أبوها
- محمد بك : وما هو مَنْ ؟
مراد بك : بعضُ التجارِ الجوالِبِ
- محمد بك : وأينَ فادعوه فأعلى محله
وارفعه وأبنيه فوق الكواكبِ
- مراد بك : تعيشُ وتبقى مات
محمد بك : مات أبوكا
- مراد بك : أجلُ هو ذا يدعى وراء العصابِ
محمد بك : جريحٌ ؟
- مراد بك : أجل لكن قضى من جراحه
محمد بك : قتيلٌ ؟
- مراد بك : أجل ثاوٍ وراء السبابِ
محمد بك : وما تصنعانِ الآنَ

مراد بك : ما أنت أمرٌ
 محمد بك : هنا لك حراسي وثم ركائي
 فخذها الى القُسطاط حتى تجي بها
 الى قصرها مخوفةً بالراغب
 وبعد غدٍ تجرى على القصر نعمتي
 ويأتيه برّي كالغيوث السواكب
 آمل وهي منصرفه :
 وداعاً أبي
 محمد بك : صبراً جميلاً أميرتي
 ولا تفعلِ فعل البواكي النوادب
 آمل : عفا الله عنه كان شيخاً مصلحاً
 محباً اليتمى راغباً في الثواب
 لقد طلب الدنيا بمهرٍ فنالها
 فولّى الى الأخرى وجوه المطالب

نظرات تمثيلية في الرواية

تمهيد

تفضلت علينا جريدة البلاغ الغراء بهذه الكلمة من النقد الشارح لفصول الرواية المحلل لشخصيات أبطالها البارزين مدبرة بيراع ناقد الجريدة الفنى

فأثرنا ضمها إلى الكتاب لتكون المرشد الأمين للقراء فيما يشكل عليهم من مواقف الرواية وصفات أبطالها وهى

١

« على بك الكبير » أو « دولة المماليك » هى الرواية التمثيلية الشعرية الرابعة التى يقدمها أمير الشعراء احمد شوقى بك للمسرح المصرى وقد أخرجتها فرقة السيدة فاطمة رشدى هذا الاسبوع على مسرح الكورسال . وقد عرض فيها شوقى بك لعهد المماليك فى مصر ولدولتهم التى شادوها على ضفتى النيل أو — على الأصح — لفترة من هذا العهد تتناول سقوط سلطان على بك الكبير وقيام محمد بك ابو الذهب عليه وفوزه بالحكم من بعده

وهذا العهد الذى عرض له الشاعر وبسطه فى روايته ملئ بشقى
 الحوادث التى يجد المؤلف المسرحى فى ظياتها مواضيع صالحة للكتابة
 وللتأليف المسرحى والميدان لا يزال بكراً من هذه الناحية على أنه
 مغمم مكتظ بما يستطيع المؤلف الموهوب أن يخلق منه مختلف
 المسرحيات القوية وينتزع من جنباته ما يشاء مما دارت به دورة
 الزمن فى تلك الايام من الاحداث وما شهدته أرض مصر فى هاتيك
 الليالى من صروف القدر وما جرى تحت سمائها من العظامم والأمرور
 وما حوته بطون الكتب من حوادث تلك العهود فيصوغ كل هذا
 فى ضروب من المشاهد المسرحية العامة بأقوى المواقف وملؤها قوة
 وحياة تزخران فى جوانبها

عهد المماليك

وليس كمعهد المماليك فى تاريخ مصر عهد تقالت حوادثه وتناوبت
 فى مثل لمح من البرق خاطف فهم كل يوم فى شأن ، ولهم كل يوم
 دولة وسلطان، وكانهم البحر بين مده وجزره ما يعلو الا ليهبط وما يهبط
 الا ليعلو واصحاب السطوة والنفوذ بينهم يتنازعون ويتقاسمون اسباب

الملك والجاه . والحرب دائرة الرخي حيناً في الجهر وأحياناً في الخفاء
ولكنها ما تضع أوزارها أو تخف أثقالها الا لتسلم البلاد يوماً لهذا
ويوماً لذلك ، والمغلوب يكيد للغالب ، والغالب يخشى دسائس المغلوب ،
والقتال سجال . وما يرتفع رأس الاريثا تستأصله أيدي الطامعين
فتحل غيره في حيث كان من سموات المجد والحكم واسباب النفوذ
والقوة ، وسرعان ما تدور عجلة الزمن ويخلق الثوب الجديد فينتزع
ويخلق مكانه للظافر المنتصر

وهكذا كان هذا العهد مثاراً للفتن ، ميداناً لضروب شتى من
الخصومات تغذيها شهوة الملك وتوجبها الغايات والاعراض ، وإنا
لنحاول ان نجوس في نواحيه من خلال هذه الرواية وعلى ضوء
ما عرضه المؤلف فيها من جنباته المختلفة ، ونحن في ذلك انما نلخص
هذه المسرحية الجديدة أكثر مما نلم بهذا العهد مؤرخين

تجارة الرقيق

كانت مصر في ذلك العهد سوقاً رائجة للرقيق تباع فيها العبيد
والاماء وتشتري يقلبون « كتقليب الحصر » ولقد فاضت جنباتها

بالأرقاء الذين كانوا يلقون العيش الرغيد. ويتأنق سادتهم في زينتهم
وبهرجهم حتى تغلبوا دونهم على البلد وأصبحت الدولة «دولة المالك» !!
وكانت تجارة رابحة حتى لبيع الأب ابنه وفتاته في سبيل بدرة من
المال وحفنة من الذهب ، وتطالعنا في ثنايا القصة شخصية مصطفى
اليسرجي الجلاب تاجر الرقيق وانها لتمثل ناحية من نواحي ذلك العهد
اتم تمثيل . فهذا والد يبيع ابنه ، ثم يعرض للبيع فتاته ويهبها لمن يدفع
الثنى . فالمال غايته والمال خير لديه من البنت والولد واسمعه يقول

يا مال ما فيك من سحر ومن خطر

لقد نزلت بنا عن رتبة البشر

لولاك ما بعت أطفالي فما كبدي

من الحديد ولا قلبي من الحجر

وهذه معروضته شمس تقول انهن كن النهار كله « كالسلع المقلبة »

ولقد نزل المال به حقاً عن رتبة البشر كما قال صادقاً . وما يعرض

عليه مراد بك الف دينار ثمناً لأبنته آمال حتى يصبح

— الف ؟ قبلت

وما كلمة آمال لأبيها إذ تصيح به
 آمال - قف أنت عبد للمال يا أبتى

تلقى البريء لأجل المال في النار
 الا كلمة حق ووصف صدق لتاجر الرقيق الخسيس الذي كان
 في ذلك العهد وله من السطوة والسلطان أعظم جانب ولتجارته من
 الرواج والانتشار ابعد مدى تدر عليه أخلاف الرزق وعطايا الذهب .
 فاذا سمعت هذا التاجر الذي يسوق الجنس البشري كما يسوق الراعى
 قطعان الشاه والبقر يقول ان «الرق والموت على حد سواء» لم تأخذك
 عليه شفقة بل عظمت جنايته في عينيك فانه الجاني الذي يدرك عظم
 المول الذي هو ممارسه وليس بالغافل عنه ولا بالجاهله . وما تصبح
 ابنته الأمة التي كان يعرضها في سوق النخاسة أميرة عظيمة الجاه ،
 زوجة أمير وحاكم كبير حتى ينحني الوالد أمام البنت ، والتاجر امام
 الأمة ، وفي خضوع العبد الذليل يقبل الستر وموطيء القدم ا ا

وتلك صورة من تجارة الرق في ذلك العهد يقشع من هولها البدن
 وتشمز منها القوموس ولقد عرضها المؤلف في قوة وفي عنف غير قليلين

وأراد أن يصورها في أبشع صورها فجعل الأب يتاجر بالبنين ولما أراد أن يلمس العذر جعله من سحر المال ومن خطره ، وذلك هو العذر الذي يقال انه أقبح من الذنب وأوغر للصدر وآلم للنفس

على ان هذه الحال وإن بدت لعيوننا اليوم بشعة بغيضة ، فأنما ننظر اليها من خلال حضارة القرن العشرين ومما ندين به اليوم من آراء ومعتقدات ، أما في الأمس الغابر ، أما في ذلك العهد ، فقد كانت هذه التجارة كغيرها لا ينظر اليها بمثل هذه النظرة ، وخاصة في مصر التي كان حكامها أنفسهم ممن مروا بأسواقها وعرضوا فيها للبيع والشراء ، وهكذا كان على بك الكبير ومحمد بك ابو الذهب ومراد بك ابطال قسنتنا ومن اليهم من سادة ذلك العهد ومن أبطال « دولة المماليك » وهذا على بك يقول .

على بك :

انا أيضاً مررت بالسوق يا أمّا ل حالى يا بنت من مثل حالك

مضوع الورقاء

وما كان للريق أن يعترض أو يتجنى على بانه أو شاربه

و « هل يملك الرقيق الآباء » !! وما كان له الا ان يرضى بالقدر
 الهازل ، ويخضع لمشيئة التاجر فيه حتى لقد مات في النفوس كثير من
 صفات البشرية التي ترفع هذه المخلوقات فوق مرتبة الحيوان الأعجم
 وحق لتسمع من بعض الاماء في عرض القصة ما ينبئك أن الأمر
 لديهم من المسائل المفروغ منها والتي لا تستحق مجرد أسف مكظوم أو
 عبرة حيرى ، فهم في قصر الامير الذي سيعرضون عليه يسألون

زكية :

وأين بنو سلطان لم لا نراهمو أليس له ابن يفتدى ويروح
 يرف الشباب الغض من طيلسانه وينفح ريحان الصبا ويفوح
 والاخرى اسمع منها رجع الصدى

شمس :

فلا خير في دار إذا لم يطف بها نسيم شباب أو شعاع جمال
 ولا خير في روض بغير بهارة ولا خير في قاع بغير غزال
 فهمهم من الدنيا ألا تخلو الدار من نسيم الشباب ولا القاع من
 الغزال وما أشوقهم إلى ابن السلطان « يرف الشباب الغض من طيلسانه »

ومالى التى بالى إلى هؤلاء الفتيات وقد يكون لما شاهدن من
الترف وما يطمعن فيه من النعيم ، وما تنتظره أنوثتهن من ضروب
الاستمتاع فى ابهاء الشرق وتحت سمانه حافز ودافع وهذا على بك
الكبير يتحدث عن الرق وعما كان رأيه ورأى أمثاله من الممالك
فيه يقول

على بك :

فما كان منا من رأى الرق سبة ومن قال عند البيع لست أريد
وهل كان يستطيع ؟ « وهل يملك الرق الاباء » ؟ ! .

ما طامه برجوه الرقيق من بيعهم

غير انه ، وكأثما يعلل اسباب ذلك ويبتغى من وراء هذا اشباه
أعذار ، يقول

على بك :

قد وقفنا بهذه السوق نبغى دولا من وراثتها وممالك
وهذا مراد بك يقول لاييه مصطفى تاجر الرقيق اذ يتعارف عليه
« أبى ما بعتنا إلا لتدرك الغنى »

وفى هذا كثير من الحق ، لان العادة جرت فى ذلك العهد ، ان يجمع كل ذى سلطان حوله الاتباع والأنصار ، يزخر بهم قصره ، ويباهى بهم ، ويكونون له عوناً فى الشدة ، وما أسهل السبيل مادامت السوق قائمة وفى يده الثمن . وأرقاء اليوم هم أنصار الغد وعدده ، يجرى عليهم الرزق ويخرجهم للدنيا على غراره وينفث فيهم من المهد سموم الحقد لغيره من المماليك الحاكمين حتى إذا أزفت الساعة نادى فلبوا ، ودعا فأجابوا ، وأمنع فى الخصومة اللد و هم من حوله يعضدونه ويشدون من أزره .

تعبى الرقبى

وبلغ من عناية الحكام من المماليك باتباعهم انهم كانوا يتخذونهم أبناء أو فى مكانة الأبناء فالقصر زاخر بالارقاء أو بالأبناء كما شئت ولعل أصدق وصف لهذه الحال ما تقوله إحدى الاماء إذ تسأل عن أحد المماليك محمد ابو الذهب فيكون الجواب انه ابن السيد الامير على بك والثانى مراد ؟ أخوه « هو أيضاً لم يلذه ابوه »
 لامة : اذن ، فعلى والد الناس كلهم وكل شباب الضفتين بنوه

غدر الرقيق بصادقهم

على ان هؤلاء الارقاء رغم كل ما كانوا يلقون من ساداتهم من
نعيم وترف ما عليهما من مزيد ، ورغم ما يتقلبون فيه من نماء ومن
خير عميم ، كانوا آخر الامر يثبون على أولياء نعمتهم ويفقدون بهم
شر غدر ويحاولون الفوز دونهم بالسلطان والجاه فهذا محمد ابو الذهب
رييب على بك وابنه على المعنى الذى قدمت

..... ليس برا ولا ويفا امينا

بالامس عقى اباه فكان شر البنينا

واليوم يشهر حربا على الامير زبونا

واسمع ما يقوله على بك عنه وستفهم ما كان من فضله عليه
على بك :

يطاردنى فى الارض من دب فى يدى

وربى فى حجرى وشب يبابى

ومن طلب الدنيا بياسى وسطوتى

فلما حواها فى يديه سطا بى

ومن عشت أبنيه وأمر ركنه فصير هدمي شغله وخرابي
بل هذا الابن هو الذي يثور على مولاه فينتزع منه البلد ويهزم
جيوشه ثم يسقيه السم فيتوج بذلك صنيعه لديه
وهذا مراد الذي

يحب علياً جهده ويحبه على فيين السيدين وداد
كما يفهم الناس ، ليغري بعلي من يحاول قتله ويهم هو من
ناحيته بأمراته بعد سفره إلى الشام ثم إذ يتقابل معه في ميدان القتال
يرمي نفسه عليه ويتجالد

..... فلم يدعه حتى جرح

خيانة الاتباع والموالي

وإذا كان هذا ما يفعله البنون والادنون فما تنتظر ممن دونهم
في المنزلة والمرتبة ؟ ما هو شر من الغدر وأدنا من الخيانة وإنكار الجليل
إن كان في الدنيا ما هو أعمى في الحطة والخسة من ذلك . وهذا
رزق وكيل على بك ما يكاد يحس بقرب انهيار سلطة مولاه حتى يدير
شراعه للريخ الجديد ويتصل بأبي الذهب حتى يملأ يده منه

إذا الزمان بعلى بعد حين انقلب
يجمعلى محمد على خزائن الذهب

نحول الامراء

أما الغز والامراء فأنهم حول ركاب محمد بك أبو الذهب
على بك :

وكذاك كانوا أمس حول ركابى

ومحمد بك أبو الذهب نفسه لا تفوته هذه الحقيقة فهو إذ يسأل
أحد اتباعه عن هؤلاء الامراء فيقول له انهم
لا يذكرون علياً وبيته منذ بانوا

يحييه

محمد بك

صدقت هم حيث كانوا الجديد فى مصر كانوا
ويتلصص على بك فى نكته صديقاً أو مواسياً فهو لا يفتأ يسأل
على ثمة له من نصير

على بك : والازهر المصور ؟

شمس : صاد محمد فيه الشيوخ وعاد بالطلاب

وفي موضع آخر يتساءل في لهجة العارف الفطن

على بك : ولم يفس أصحابي الفقهاء أيادي عندهم والمثني

كيف وهل يبقى المغلوب من ناصر أو معين ؟

وللفقهاء على داره صباح مساء زحام شديد

ودار من غير الحاكم الجديد محمد أبو الذهب ؟ ! ولو لم يكن

هذا لكان غيره فاتهم دار من هي ، ما دام أنها دار الفأز المنتصر !!

الفرد والحياة بين المحال

وهكذا يعيبك أن ترى بارقة من الوفاء في أي طبقة من الناس

بحسب ، ولقد كان أسرع الغادرين أقربهم إلى المغلوب على أمره ،

وان كل هذا المثل أصدق تمثيل وأروع في صيحة على بك الكبير

اذ ينفثها من صدره في ألم ومرارة

ويحى من الاتباع والأتباع

وتلك ناحية أخرى من نواحي ذلك العهد القاتم جلاها الشاعر

في أوضح صورها وساق عليها شواهد متواترة وكشفها في كثير من نواحي قصته ودلل عليها من أخلاق ابطاله ومن تتابع حوادث الرواية واتجاهاتها . فالماليك لم يكونوا إلا مرتعاً خصبا لآخس صفات البشر وعلى رأسها الغدر والختل والخيانة وما اصدق ضاهر العمر إذ يصفهم ذلك الغدر والماليك فيهم من قديم الزمان غدر وختل

بل هذا هو على بك الكبير ، وسترى عند ما تعرض لتحليل شخصيته أن المؤلف أبرز فيها كثيراً من الصفات الطيبة والخلل الحميدة ، اسمعه يقول لمحمد بك أبي الذهب عندما يدس له السم على بك :

محمد نل كل ما شئت مني ومالي أومك والسم فني
أخذت الحياة والغدر عني

فكانما كانوا يتوارثون الحياة والغدر جيلا بعد جيل وفنون السم وما إلى ذلك بسبيل الابناء عن الآباء واللاحقين عن السابقين

الظلم وسطوة الخطام وعسفهم

وثمة نواح أخرى وجنبات مظلمة من ذلك العهد عرض لها

المؤلف في سياق الرواية. وألم بها في زحمة الحوار اللامأ فأنت ترى كيف
يهجم الجند على منازل الأمنين فلا يطاولهم في سطوهم قطاع الطرق
فنصفهم

« أزال الغفاف ونصف سرق »

وغيرهم يقتلون أخوة في ساحة من ساحات البلد ولماذا ؟

« قد سرق الأخوة جحش الكتخدا »

وإذ يغضب أحد الأتباع من كلمة مزاح من زميل له يفرغ فيه
مسدسه فما يزيد الأمير إلا أن يشكر القاتل لانه خلصه من المقتول اذ
كان يشك في أمانته له ويوليه منصبه ١١ ويمضى القوم في حديثهم
كأنما لم ترهق بين أيديهم روح حرم الله قتلها الا بالحق .

وهذا مراد بك يصارحه مصطفى تاجر الرقيق الذي مر بك
ذكره — وهو محتضر ويتحسّر — أن ثمة سرّاً مهولاً عليه أن
يسمعه فيقول له

مراد بك :

اذن فقم ابق تأخر ساعة قل مالديك ثم مت كيف تشا

وليس بعد هذا استهتار بالارواح وسخرية بمصائب الناس وعدم
مبالاة بما يكون من موت أو حياة فهما في نظره سواء.

فاذا كان هذا الى جانب ما سلف مما عرضه المؤلف في روايته
وأثبتنا على بعضه هنا فلا تستكثر أن تسمع في سياق القصة أحد الخدم
يصف ذلك العهد قائلا

نحن في أيام جهل	وبلاء وجنوت
اصبح الناس على الوا	دى بلا دنيا ودين
وقف الحاكم من	كل رخيص وثمين
مثل ماقد وقف الدائن	من مال المدين
وشريك الشعب في	كد يديه والجبين
وشريكا في الأواني	وشريكا في الصحون ..

ولا تستكثر على على بك الكبير كلمته في ختام القصة
بناء للماليك واهى الاساس وسلطانهم مضمحل العمدة
فهو أدري وهو يمثل هذه الامور خير ،

الاعتقاد بين الناس وتخاذلهم

ثم انه يشكو من علة ما زالت ترددها ضفتا النيل من يوم
عرف التخاذل سبيله بين أهل هذا البلد واليه يعزى أسباب ما غشى
البلد من ضروب السقوط والهوان والتقى اليه السمع وهو يقول
على بك :

إذا قام بان إلى غاية تعثر بالهادم المجتهد
وأولع بالعصبة العاملين رجال كسالى منوابالحسد
فلم ير واحدا هممة فضلا لآخر الا حقد

وهكذا لا تطالعنا إلا صور قائمة لهذا العهد تأخذ بعضها برقاب
بعض وهناك ثمة نواح أخر أتى المؤلف على ذكرها في عرضه لشخصية
على بك الكبير وسنفضلها عند حديثنا عن بطل القصة وعن غيره
من شخصياتها

على بك الكبير

(٢)

وهو بطل الرواية والمحور الذى تدور عليه حوادثها وقد عرض المؤلف جوانب عدة لهذه الشخصية وصورها فى مواقف مختلفة فى سياق الرواية نستطيع على ضوءها أن نهتدى إلى الطابع الذى أراد الشاعر أن يطبعها به

سياحة

وأول ما يهمنى بطبيعة الحال ان ندرس سياحة الرجل وآراءه فى
تصريف الحكم والسلطان

تقع حوادث الرواية فى أواخر عهد على بك الكبير وكان

قد جاوز الشباب الآ انه كهل نصر

فلم يعد بالشاب النزق ولا بالغرير الذى لا يقدر اتجاه الامور ولا
خطورتها وكان كغيره من سادة الممالك قد اتخذ الموالى والانصار

وأغدق عليهم سابع النعم والعطايا وجعل من محمد أبى الذهب ومن
مراد اكبر أعوانه بل وضعهما فى مصاف الابناء واللدات ولكن
كانا أول من وثب عليه وقد مر بك شرح ذلك
ونرجع إلى ما كنا فيه فنقول ان على بك قدر موقفه حق قدره
وعلم ان الأزمة اشتدت حلقاتها وابطأ انفراجها فما يكاد بشير بك ينقل
اليه ان أبا الذهب .

حاز الأقاليم اليه وتألف العرب
والفرز فى ركابه والشعب جذلان طرب

وينصحه

فلنرتحل فرمما جن فعجل الطلب
حتى يستمع لنصحه ويعتزم الخروج نحو الشام ويسأله أن يهيئ
جواده ويدعو خير صحابه لمرافقته . فاذا سأل بشير
بشير — وماذا وراء الشام ؟
على بك :

اسعد ضراغم الفهموا حولى لنصرة غايبى

يزيد بهم جيشى وتقوى عشيرتى

ويستد ظفرى فى القتال ونابى

ويعاوده الحنين إلى آمال عروسه التى تزوجها من هنيهات ويكاد
يضعف أمام سلطان الحب وبشير بك يمهّد له فى البقاء على أن ينتظروه
فى العريش ولكن حرج الموقف لا يدع له مجالا للاختيار فثأمة وقت
لاجابة داعى الغرام وما تخفى دقة الساعة على على بك الكبير وها
هو يصبح يبشير

بل امض بنا سر بنا سر بنا فما جلب الخير مثل البكور
ويؤكد قوة العزم هذه التى تلمحها من الرجل فى الحال التى مر
بك ذكرها موقفه من ضاهر العمر إذ ما يكاد هذا ينبيه أن
كل شيء كما تحب مهيا
وبئالاه

ففى الظعن سيدى ؟ مر نساقر

حتى يبادره قائلا

على بك :

غدا الظعن يا أخى قم تأهب إنما الغنم للخفيف الميادر

فهو كما ترى لا يدع الفرصة تغتلب من يده ولا يتسكأ أو يمشى
على مهل وهذه شيمة الرجل الحكيم الذي لا يتوانى عن العمل ولا
يجعل لِمُشاغل القلب أو غيرها من نزعات النفس سلطاناً عليه وهذه
بعض صفات رجل الجِد والحكم القوي القادر وهي بارزة في سياسته
كل البروز

محاولة الاستقلال بمصر وطرد الأتراك

ومن أظهر نواحي سياسته محاولاته في هدم سلطة بني عثمان في
مصر والاستقلال بحكمها دونهم وذلك ما يطالعك من ثنايا القصة في
مواقف عدة فهو قد حاربهم غير مرة واسمه يلوم محمد أبى الذهب
على مخالفته للأتراك ويذكر حروبه معهم

على بك :

أبو الذهب الفر بالترك لاذ وفي مصر في غدها ما افكر
وكم قد غزاهم على رأيتي وكم من سلاح عليهم شهر
وهو إذ يعتزم السفر إلى الشام يطمع في أن يعود فيقلب على

محمد أبى الذهب الذى انتفض عليه وعلى الوالى العثمانى ويظفر بالبلاد
حرة لا ينتقص من سيادتها وسلطانها أحد وهاك اسمه يقول

على بك :

وأرجع حراً تحتى النيل كله وما من بنى عثمان فوق والى
فهو يطمع فى سيادة النيل على أن يكون حاكماً المطلق الحر
لا يحد من سلطانه ولاه بنى عثمان . ويؤكد هذه الناحية من سياسته
قوله لظاهر العمر قبيل بدء المسير إلى مصر أنه يريد أن ينتزع البلاد
..... من قبضة الترك ومن كل فاسق الحكم سادر
ويتوج هذا المعنى كله ما فاض به قلب الرجل وهو فى حشجة
الموت شرحاً لسياسته وتذكيراً لما ناله من صروف القدر ولقد أجمل كل
ما فصلناه هنا فى كلمته

على بك :

صيرت حرب الترك وجه سياستى

حتى اقتنيت عداوة الافوام

فما لنا بعد ذلك من سبيل لأنكار هذه الناحية من سياسة

الرجل التي ما زال المؤلف يشرح غوامضها وعواملها المختلفة حتى جلاها
في أوضح صورها

لا يلزم بالاجنبى

وثمة ناحية أخرى في سياسة الرجل وضاء نيرة بذل لها المؤلف
من جهده الشيء الكثير وأفرد لها موقفاً من مواقف الرواية لعله من
أروع مواقفها وابعثها على الإعجاب والتقدير لبطلها . وقبل أن تنتقل
بك إلى هنا المشهد الذى نفى نذكرك بما تقدم به القول من لوم على
بك لمحمد أبى الذهب لاستعانتة بالأتراك ويصفه بالغر ويأخذ عليه أنه
..... فى مصر فى غدها ما أفكر

وتلك نظرة السياسى الحكيم الذى لا ينسى أن الاستعانة
بالاجنبى ليست لها إلا نتيجة واحدة هى تغفل سلطة هذا الاجنبى
الغريب وتقرده على الزمن بالحكم والسلطان

والان تنتقل الى المشهد الذى الحنا اليه وذلك حيث تعرض
روسيا على على بك الكبير عونها ومددها فى استرجاع حكمه والتغلب
على محمد أبى الذهب فيأتى مصر

..... فى الدارين وفى الفولاذ والمال

فهذا الاسطول تحت امرته ، وما شاء من جند الروس لنصرته ،
والذهب والمال رهن اشارته . وما تنتظر أن يكون جواب الرجل في
مثل حاله ؟ وهو الشريد الطريد الذى تغرب عن الديار والوطن وترك
في مصراتباعه يسامون الخسف والهوان وآله وعياله ما يكادون يجدون
لقمة سائغة وعروسة التى احب وهوى ؟ ! ما جواب على بك الكبير ؟
على بك :

لاستعين على الاهل الغريب ولا ارمى الذئاب على غابى واشبالى
والرجل في مثل الحال التى وصفنا ليلتمس له الناس الف عذر
لو فعل ورضى بيد الروس الممدودة في كرم وسخاء . وما ذا يخشى ؟
على بك :

رباه ماذا يقول المسلمون غدا ان خنت قومي وأعمامى وأخوالى
يقال في مشرق الدنيا ومغربها فعلت فعلة نذل وابن انذال
وهاك رأيه فيما عرض عليه لا لبس فيه ولا غموض فانه يعد
الاستعانة بالغريب فعلة نذل وابن انذال . وانه ليخشى من كلمة
الناس فيه .

نبيل الموقر : —

و بذلك بلغ على بك أسمى درجات النبيل ووقف موقفا مشهودا
لو حاد عنه لوجد مسوغا لفعلته ولا استطاع أن يمهّد لنفسه العذر . ولا
يفوت ما في هذا الموقف من النبيل والكرم قائد الاسطول الروسي
ورسول القيصر اليه فهو يقول له

القائد :

مولاي تلك معان تحتها كرم ليست لمن طلب الدنيا بأشغال
وكانه بذلك يغريه ويستحثه على قبول ما عرض عليه ، ولكن
اما ثمة من وسيلة غير هذه لطلب الدنيا ، الا

على بك :

بعدا وسحقا لعلياء الأمور إذا لم التمسها بخلق فاضل عال
وتلك أرفع سماوات الخلق النبيل العالى . بلغها على في موقفه
هذا المشهود .

وبما يزيد هذه الناحية من خلق على وضاعة واشراقا ما علمت
عما كان من امر خصومه معه . فهذا محمد أبو الذهب وثب عليه واضطربه

إلى الخروج من البلد مشردا طريدا بعد ان كان الحاكم الأمر . وهذا مراد الذى انضم الى أبى الذهب ونصره على ولى نعمته ، بل مراد الذى هم بزوجة على وراودها عن نفسها ولم يرع حرمة الامير سيده واصل نعمائه وسؤدده . بل مراد الذى اغرى بعلى من يقتله واوفد مجرما اثما هم بسفك دم الامير لولا ان اراد الله له النجاة وكتب له السلامة ؟

ومن محمد أبو الذهب ومن مراد ؟ هم ممالك على ، اشتراها بماله ورفعها فوق مراتب السادة وفي مراقى الحكم والجاه درجات . وبعد كل ما صنعا معه ، مما نعى اليه خبره وأصبح بامرهم عليا ، بعد كل هذا لا يزالون منه فى منزلة الابناء والأولاد ولو انهم الجنة المذنبون وما أزوع كلمته التى كأنما هى رجع الصدى لنبالة خلقه وكرم طباعه على بك :

..... ان الجنة على هم أولادى

ومصر ! مصر التى انتقضت عليه وانحازت إلى محمد أبى الذهب وشيعته دونه ؟ هل ثمة متسع للحلم والتسامح ؟ اجل . بل هذا هو

الرجل لا يذكرها إلا بالخير بل يخلع عليها آى الحمد والثناء
على بك :

بلد رعاني في الصبا وأحلى بعد الشباب مراتب القواد



لا تنس موضع مصر واذكر ما لها

من انعم سلفت ويض أياذ

وأسمعه يقول ، وكأنما يلتبس لمصر الأعذار وأخلق به في مثل
حاله أن يكون الساخط الحاقد

على بك :

ما ضر مصر وضرني إن لم تكن مهدي وكان بغيرها ميلادي

وليس ثمة بعد ذلك في شيم الكرام مبتغى ومزید

وما يكون جزاؤه من مراد وأبى الذهب ؟ يميل عليه مراد في
القتال حتى يشنّه بالجراح ويدس له أبو الذهب السم في الكأس ،
وأصدق ما يقال في وصف ذلك كلمته هو نفسه إذ يقول

على بك :

ويحى فما وقف الرجال كعوقى من ظلم أحباب وكيد أعادى
وحقاً

على بك :

إذا بنى الاهل والأقربون فكيف من العالمين الحذر؟

وفاءه

وفى بعض ما تقدم ما يدلك على وفاء على بك الكبير لصاحبه
واتباعه بل ومغالاته فى ذلك إلى أبعد مدى فهو يشفق ان يرمى
. . . . بالروس الشداد جماعة ضعفاء مهزولين غير شـداد
وفى حديثه مع قائد الأسطول الروسى إذ ينال هذا من مضيقه
ضاهر العمر يصيح به

على بك :

فزن القول يا نبيل وأمسك لا تنل ذكرى صاحبي بهوان
فهو يرد غيبة صاحبه وينفى له اجمل وفاء

على بك م - ١١

بره بالفقراء

وعلى بار بالفقراء كريم جواد ، جرى على أن يطعم كل يوم خميس
الفا من الجائعين كما يقول خادمه ، بل هو مسرف في بره حاتمى في
عطائه وهذا رزق وكيل خزانته يقول له . .

رزق : كم ذا تجود وكم تهب

ان الخزانة أصبحت بنذاك كالبحر الخرب

وما أريد ان أطيل عليك فأقل لك كلمة على بك التى يتحدث
فيها عن أطعامه الفقير ، وسقيانه ابن السبيل ، وحضنه اليتيم ، ورققه
بالعجاء ، وما شيد من دور للبؤساء والمعوزين والمرضى ، فارجع اليها
ان شئت فى سياق الرواية ، ولكن لا يفوتنى ان أذكر لك أن على
بك ما يكاد يقابل شمس التى وفدت اليه من مصر حتى يكون أول
سؤال له .

على بك :

ومواندى يا شمس ؟ كيف مواندى

والطاعمون بها وكيف رحابى ؟

اتراهمو قد ردهم خدعى وقد منعوا طعمى عنهمو وشرابى ؟
 فما يسأل عن ملكه وعما فعلت الأيام وصروف الدهر بجاهه
 العريض ، ولا عن حال الانصار والمخلصين من الاتباع ، ولا عن
 أسرته وعياله ، ولا عما فعل اعداؤه باملاكه وضياعه ، لا ، ماهه شىء
 من كل هذا ، بل موائده والطاعمون عليها وهل ردهم خدمه ومنعوا
 عنهم طعامه وشرابه ؟

وتلك رقة فى القلب لا تكاد تلمسها فى رجل غير على فى مثل
 حاله وفى مثل كربه وشدته

عنايته بالازهر والثقافة : —

وما يطمئن على هذه الناحية حتى يسأل شمس
 والأزهر المعمور ؟

ولا شك انك تلمس فى هذا عنايته بالازهر وهو مالا جدال
 فيه ولقد كان بره لا ينقطع عن العلماء والفقهاء فقد كانت له عندهم ايام
 ومن كما يذكر آسفا ومعاتباً . اما عن اهتمامه بالثقافة الى جانب هذا
 فاننا نلمحه الى قوله

وينبئ فركن للثقافة والحجبا يشاد وركن للصلاة يقام

اعتزازهم بالصانع المصري :

وهذه « المصرية » التي تغلب على نزعة على بك الكبير وتصبغ سياسته بصبغة ظاهرة في مناهضته للترك وحروبه معهم وفي رفضه الاستعانة بالروس على غزو البلاد ، نلمسها كذلك في ناحية من نواحيها في اعتزازهم بالصانع المصري وافتخاره به فهو اذ يعدد لآمال مافى قصره من دقيق الصناعة وجمال الزخرف ودقة الفن يردف ذلك بقوله :

على بك :

وكل ما أبصرت في قصرى من صنع البلد
فليس يعلو الصانع المصرى فى الذوق احد
فما نغالى اذا قلنا ان الطابع الظاهر لعلى بك الكبير طابع مصرى
صميم يطالعنا من ثنايا القصة ومن خلال مشاهدتها المختلفة ولا يفوتنا
انه أحد ثلاثة حاولوا الاستقلال بامر هذا البلد ، على بك الكبير ،
والاثنى مستعينا بالانجليز ، ومحمد على معتمدا على قوة الشعب وانتصار
العلماء والجند له ، وهزم الأول وفشل الثانى ، وكتب الله النصر للثالث

ومجمل القول في على بك الكبير ما أوحاه الشاعر الى آمال في
ختم القصة إذ تقول عنه بعد ان قضى من جراحه ومن السم
آمال

عفا الله عنه كان شيخا مصليا محب اليتامى راغبا في الثواب
لقد طلب الدنيا بمصر فناها فولى إلى الاخرى وجوه المطالب
وتلك زبدة القول فيه وخلاصة الحديث عنه

امال :

ولعل شخصية آمال هي أغرب شخصيات الرواية وأجدرها
بالدرس والتحليل وانك لتلمح في خلق هذه الفتاة لاول وهلة ما
تروعك . ومن هي آمال ؟ امة وابنة مصطفى اليسرجى بائع الرقيق
وقد أتى بها مع أترابها لبيعها في سوق مصر وبيننا لا يجد أترابها في
بيعهن ما يؤلم أو يورث الحزن ، نجدنها نائرة صاحبة تأبى أن تسام
كالحيوان الاعجم وتباع في السوق بيع الرقيق فهي متمردة على ابيها
تسمعه قارص القول ، متمردة على شاريها تنفر منه وتجاهه برأيها في
غير ما منازاة أو خفاء فهي كما تصفها أم محمود الماشطة

اسم محمود

يا سيدى النخاس هذه ضبع فارجم بها لا تشرها ولا تبع
الا إذا ساومنا فيها سبع

وآمال تصرخ فى أترابها وفى أيها

سوام نحن أم نحن نفوس آدميات

وانها المعذبة شقية لا تطمئن إلى ما اطمان اليه اخواتها وقد مر
بك مجاہتہا لأبيها إذ تقول له

. قف أنت عبد للمال يا أبى

تلقى البرىء لاجل المال فى النار



فبيع الجنس فاحشة أليس كذلك؟ اعترف

ولست ممن يغرها الترف ولا نعيم القصور ولا تأخذها روعة
ما ترى من أسباب البذخ والثراء ، ولا تستلب لها اطماع الفنى

المنتظر ولا الجاه الذى تسمو اليه الأمة فى بيوت سادة المالك وحكامهم
وهذا بين واضح فى كلماتها إذ يحاول أبوها أن يوقظ فى قلبها حاسة
الطمع وشهوة الحكم والمال
مصطفى :

فتحكمين بمصر وتنزلين القصورا

ولكن

آمال :

ملكة أو أميرة أبهذا القب

فليست القاب الأمانة والملك مما يخدعها عن الحقيقة التى تنفر
منها وتجاهد فى الخلاص من الوقوع بين براثنها ، وما الفقر ؟ أهو سبة
وعار ؟ وما الرق ؟ أهو المجد والخطر ؟ واسمعه منها كلمة لا تمت من
غموض فيها
آمال :

أبى شرف على فقر ولا فقر إلى الشرف

واذ يتقدم مراد بك لشرائها من أيها تمناع وما تزال على إياها

وشتمها ، ترفض أن تحمل كالشاة فليست « . . . مخلوقة للبائع
الشارى » وما بقالى غضب الأمير أم كان من الراضين . وهى كذلك
امام على بك الكبير ما تخشى سطوته ولا جبروته وهو الحاكم السيد
وهى الأمة الرق ، ولا يفوت على بك أن يفتن إلى حقيقة شعورها
وانه ليكبر منها هذا الالباء

على بك :

فداؤك نفسى هذه نفس حرة وهذا أباء ما عليه مزيد
ويعرض عليها الزواج ، وكان خليقاً بها أن تشكر له هذه اليد فلو
أراد شراءها لاغتصبها قهراً ولكنه الكريم السمح ، اتراها بعد ذلك
شاكرة له صنيعه ؟ اتراها تجيب أباءها اذ يسألها أن تتقدم للأمير
بالحمد والثناء ؟

آمال :

علام ؟ أجربته بعد ؟ لا سأعلم ما صاحبي فى غد
وفى هذه الكلمة اكتملت لآمال عناصر شخصيتها القوية
التي تهبط وتتروّعك والتي تكبر منها هذا الالباء وهذا الشتم فهى على

شكر الأمير لا تقدم وقد اعتقها من الرق وارتضاها زوجة قبل أن تجر به ١٩
 ضع هذا إلى جانب ما تراه من حرصها على كرامتها وحفظها
 غيبة زوجها وصيانة عرضه إذ تهجم عليها مراد بك بعد سفره على
 ويرادها عن نفسها فترده أقبح رد وتلزمه معها حد الأدب
 آمال :

لا تدعني باسمي ولكن نادني بالقلب
 مراد هذا هوس قف عند حد الأدب

وهي كما تصفها شمس بحق في حديثها لعل بك

..... خير عقيلة وأجل ربة منزل وحجاب
 ملائمت مكانك عزة ومهابة وكست حماك جلالة الحجاب
 لو كنت أمس ترى رأيت أوبة غضبي محامية عن الاحساب

فهذه الشخصية جليلة ، كبيرة الخطر ، وانها تمثل نزعة للمرأة
 هي في المثل الاعلى من إباء وعفة ، يزيد في جلال شأنها أن هذا الخلق
 يصدر ، عن أمة مثلها آلاف في السوق كانت تباع وتشرى ، وان
 النفس لتستروح من ثنايا خصالها ما يدفع إلى القلب اسمى درجات
 الاحترام والاعجاب

محمد أبو الذهب

وقد مر بك ذكره مرارا وتكرارا وما نريد أن نطيل وقد فاض
الحديث في جنبات عدة من شخصيته جاءت في سياق القول ، فقد
علمت ما كان من نعماء على بك وفضاله السابقة عليه وما كان منه من
جود للنعمة وانكار للجميل . ولقد علمت ما كان من أمر استعائته
بالترك على أهل البلد . ثم هو بعد ذلك منافق غادر . ما يكاد يلح
عليا على فراش الموت حتى يبادره

أبو الذهب :

يا ويح لي ماذا ارى هذا أبى وسيدى
سيعلم للغرى به كيف عقابى فى غد
ولا يمهله حتى يدس له السم فى الشراب وهو ولى نعمة وسبب
ما هو فيه من خير ونعيم وما اصدق ما قيل فيه
الذئب جرب فى المربي ظفروه فاصابه لا تحو دارك أرقا حتى تحطم نابيه
وهو فى مقابلته لظاهر العمر مخاتل خداع ، يلغاه أهلا وينزله
سهلا ، ولكنه يبيت له القدر ويشمت به ساخرا اذ يرد عليه سيفه

أبو الذهب :

أنت خل للبائسين وفي وهو أيضا لهم صديق وخل
ويستبقه بمصر ولا يسمح له بالعودة الى دياره خشية ان يعاود
الكرّة عليه ولعله يفوز من حيث اخفق في هذه المرة. بل هو يستبقى
رجال ضاهر قاتلا إذ يسأله هذا عنهم

..... سيلحقونك فيها لك عندي وللعشيرة نزل

ومن البدهى ان نفهم ان مقابهم سيكون مقام الاسير الضليل ،
ولا يفوت ضاهر هذا فهو يقول

ضاهر :

ذلك القدر والماليك فيهم من قديم الزمان غدر وختل

مراد بك :

وما مراد بك إلا صنو محمد أبى الذهب بل انه ليكفر بإيادي
على ويمعن في الخصومة الدد حتى لينرى به من يقتله ويميل عليه في
القتال حتى يشنّه بالجراح ، وحتى يهجم على عرضه ويراد زوجته

ولو لا انها عصمت نفسها لنال من شرف على ما أراده ومراد هذا ،
هو الذى يقول له على بك ، وتعلم من ذلك ما كان من اتصالها
وسببه ورعاية على له
على بك :

انت الذى اشتريته	بفضتى وذهبي
ولم أقصر معه	عن واجب المؤدب
ولا يجد مراد ما يقوله غير	
مولاي خلني إلى	ضميري المعبود
أعف فأنت أهله	هب لي جرائمى هب

مآثر العمر

بقيت لنا من شخصيات الرواية هذه الشخصية القوية التى اخرجها
المؤلف فى صورة من المثل الأعلى للشهامة والوفاء ، ومراعاة الجار والذود
عن حياضه والقيام بدوره بالنفس والنفيس ولقد أجبنا ان نختم بها
دراستنا حتى نستروح قليلا فى جنباتها بعض ما تطالعنا به صفاتها من
التكبرم والجود والوفاء وأباء الضيم

حل على بك الكبير في منزل ضاهر هذا فكان على حد قوله
 أنا في الدار أول منذ هاجر ت اليها وصاحب الدار ثان
 وأنه ليسهر على ضيفه يقظان منتبها ويحوطه بحرسه أينما سار
 خشية أن ينساب اليه من يحاول أن يمس به فترى ذلك القاتل
 الذي حاول قتل على غيلة حتى تجد ضاهراً قد حضر وهذا على يعجب
 ويدهش وما يزيد ضاهر على أن يقول

كنت عليك يا صديقي ساهراً

وأروع ما يتمثل لك هذا الخلق في ضاهر ، في المشهد الذي يتقابل
 فيه مع محمد أبي الذهب بعد انهزامه وعلى ، فما يكاد يتسلم سيفه حتى
 يسأل أبا الذهب

ذاك سيفي فأين أكرام ضيفي ؟ مالي اليوم غير ضيفي شغل
 وأسمعه قبل ذلك يقول

كيف أمشي في الشام أو في سواها

البس العز حيث جاري يذل

وهو في وفائه لعل لا يخشى أن يقول امام خصمه اللدود أبي الذهب
 من كلى ملك ماله على الأرض مثل
 وتلك أهد غايات الوفاء واسمى درجات الشهامة واكرام الجار
 وأعزاز الضيف والدود عنه

أما عن شجاعته وشدة بأسه فاسمع كيف يجابه أبا الذهب وهو
 بين يديه أسير وفي صراحة ورباطه جاش
 ضاهر : اسروني ولو بقيت طليقاً
 محمد بك : ما الذي كنت صانعاً
 ضاهر : كنت تباو

كيف ابني اللواء حول حليف وأرم الصفوف إذ تضجحل
 ولقد جنت على الرجل صراحته فان أبا الذهب ليس بالفر الذي
 يترك مثل هذا الرجل حراً طليقاً
 محمد بك : لا بل ستبقى بمصر ضيفاً علينا



وبعد ، فهذه دراسة تحليلية للرواية ولا بطلها انتزعناها من صلب
 الرواية نفسها ، نرجو أن تعين القارىء على تفهم أغراضها ومراميتها ،
 وما استقصينا ولكن نضرب الأمثال

تطلب الكتب الآتية للمؤلف من متعهدا احمد افدى
عبد الوهاب بشارع جلال نمرة ٨ بمصر ومن المكاتب الشهيرة
بجميع الأقطار العربية .

٢٠ ثمن الشوقيات جزء أول (وهو نادر)

١٥ " " " ثان

٨ " " للمدارس

٥ " رواية مصرع كليوباترا

٥ " " مجنون ليلي

٥ " " قبيز

٥ " " على بك الكبير

٥ " " عنتر

٥ " " أميرة الأندلس تحت ١١

٥ كتاب أسواق الذهب

25

a

2

Bibliotheca Alexandrina



0603654